مديح النبي (صلى الله عليه وسلم)
في شعر معاصريه بين المثير والتعبير

دراسة في الحماسة المغربية لأبي العباس الجَرَّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)

إعداد

د/ غادة حسن زكريا عشبة

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة دمنهور، مصر.

مديح النبي (صلى الله عليه وسلم)

في شعر معاصريه بين المثير والتعبير

دراسة في الحماسة المغربية لأبي العباس الجَرَّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)

غادة حسن زكريا عشبة

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة دمنهور، مصر.

البريد الإلكتروني: ghada.zakaria@art.dmu.edu.eg

الملخص:

يتناول هذا البحث القصائد والمقطعات المدحية في رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن عاصره من الشعراء، سعيًا للوصول إلى المعاني المدحية في هذه الأبيات مع تقسيمها وفق عنصرين مهمين من عناصر الإبداع الفني، وهما: المثير والتعبير. ومن ثم فقد جاء البحث في مبحثين رئيسين؛ الأول: الدافع أو المثير، وما اقتضاه من تصنيف شعراء المديح، وتصنيف المعاني نفسها. والآخر: في جانب التعبير، وظهوره في اللفظ، والصورة، والموسيقى، وبنية القصيدة.

أما المنهج الذي اتبعه البحث فهو منهج فرضته طبيعة البحث ومادته، بحيث تجعل لنا هذه المادة وكيفية تطبيقها سبيلاً ملزمًا لتطبيق منهج معين أو جعله غالبًا لا يؤخر عن غيره، غير أننا اعتمدنا في الأساس على المنهج التحليلي الفني.

وقد خلص البحث إلى عدد من النتائج أبرزها أن الدافع أو المثير استطاع أن يوجه المعاني التي عبر عنها المادحون في قصائدهم. وأن تنوُّع المثير قد

كان بفعل الظروف والملابسات العقدية أو الاجتماعية، أو الثقافية، أو الاقتصادية. ومنها ظهور أثر المثير في التعبير الفني على كل مستوياته.

الكلمات المفتاحية: المدح – المثير – الدافع – التعبير – القيم.

Praise of the Prophet (peace be upon him) in the Poetry of his Contemporaries Revolving around Stimulus and Expression

by Abi-Abbas al-Jurāwī Al-Tadeli (d. 609) A Study on *Al-Ḥamāsah al-Maghribiyyah* [1]

Ghada Hassan Zakaria Oshba.

Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Damanhour University, Egypt.

Email: ghada.zakaria@art.dmu.edu.eg

Abstract:

The present study is concerned with the poems and short poems praising the Messenger of Allah (Peace be upon him) by his contemporary poets, seeking to examine praise meanings in these verses. These verses are divided according to two important elements of creativity and aesthetic expression: the stimulus and the expression. Hence, the study investigates two main topics. First, the motive or the stimulus, and what it entails in terms of classification of praise poets, and the classification of meanings themselves. Second, the other topic is concerned with expression, and its reflection in pronunciation, imagery, rhythm, and the structure of the poem.Regarding the approach adopted in the study, it follows an approach imposed by the nature of the research and its data, so that the data and its application impose a certain methodology that surpasses any other recommended approaches. The present study mainly relies on the analytical and aesthetic

[1]Hamasah is a genre of Arabic poetry that recounts chivalrous exploits in the context of military glories and victories and it includes also praise.

approach. The study reaches a number of conclusions, most important of which include the following: First, the stimulus is able to show meanings expressed by praise poets in their poems. Second, the diversity of the stimulus is due to the ideological, social, cultural, or economic circumstances. Third, the effect of stimulus is found in the aesthetic expression at all levels.

Keywords Praise - Stimulus- Motivation - Expression - Values.

البحث:

مقدمة:

نقلت لنا كتب الأدب والسير والتواريخ عددًا ليس بالقليل من قصائد ومقطعات مدحية في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي كثرة طيّبة إذا تركناها دون تحديد عصر من العصور، بل هي كثيرٌ في كل عصر بمفرده، فلن يجد القارئ عصرًا من العصور إلا وقد شرُف شعراؤه بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختصوه بمعانيه، وذهبوا بخيالهم الشعري مذاهب لم يعرفها الأولون، وأبدعوا ما لم ينسجه السابقون.

وقد كان صاحب الحماسة المغربية(١) قد قسم باب المديح فيها إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم، والآخر في سائر الأمداح، وقد جعل قِسم

(١) للحماسة المغربية اسم آخر بعنوان: "مختصر صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب" لمؤلفها الشاعر المغربي نزيل الأندلس أبي العباس أحمد بن عبد السلام الجرَّاوي التادلي المتوفى سنة ٦٠٩هـ، الذي استكمل علومه في الأندلس، وتوفي بإشبيلية، وكان نهايةً في حفظ الأشعار قديمها وحديثها، وجالس من خلفاء الموحدين: الخليفة عبد المؤمن بن علي، وولده يوسف، ثم ولده يعقوب الملقب بالمنصور، وليعقوب هذا ألّف كتابه، وقد صنَّفه على مثال حماسة أبي تمام إلا أنه في تسعة أبواب، وحماسة أبي تمام في عشرة، ومن أهم ما يُميز حماسة الجرَّاوي ما قسم به بابي المديح والرثاء، فجعل المديح في قسمين الأول في مديح النبي صلى الله عليه وسلم، والآخر: في سائر المدائح. وكذلك فعل في باب المراثي، فكان قسمه الأول في: مراثي النبي صلى الله عليه وسلم، والآخر منه في سائر المراثي. وكان قد اختصر حماسته من كتابه "صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب" بأمر من الخليفة يعقوب كما صرَّح بذلك في مقدمة الحماسة، غير أنه أبقى على باب مديح النبي صلى الله عليه وسلم كاملًا دون اختصار رغبة في كثرته وتبركًا بتفصيله وجملته. انظر مقدمتي ==

المديح النبوي مختصًّا بمن عاصر الرسول، فجمع أغلب شعر معاصريه في مدحه، فكان مجموع من أورد شعرهم اثنين وثلاثين شاعرًا، هم من اشتغل بهم هذا البحث باستثناء من ردَدْنا شعره لشكٍ فيه، أو عدم موافقته المدة الزمنية التي حددنا بالمعاصرة.

ولم يكن هدفنا في هذا البحث أن نقارن بين أبيات هذه الحماسة وغيرها من الحماسات، وذلك أن هذه الحماسة قد تفرَّدت عن غيرها بذكر فصل في المدح النبوي لم تذكره غيرها، فخرجت بذلك من باب المقارنة، ثم إنها اختارت من المدح من عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم. كذلك لم يكن غرضنا في دراسة المعاصرين درسًا رأسيًّا، يتغور إلى شاعرٍ بعينه، فيجمع ما تناوله من معاني مدحية، أو ما أثار نفسه ووجّه إبداعه، وإنما قصدنا في ذلك أن نسير في اتجاه أفقيّ بحسب ضابط المعاصرة، فنجمع ما تناوله شعراء عصره "صلى الله عليه وسلم" من معاني مدحية، ونصنفها تصنيفًا يجمع الأشتات، ويضم المتشابهات؛ إذ الغرض الأساس في جمع هذه المعاني إنما كان لعرضها على الذات الممدوحة، وهي ذاته عليه الصلاة والسلام، وليس فيما تناوله أحد الشعراء من معاصريه، لأنه في النهاية يمثل موقفًا شخصيًّا لهذا الشاعر.

وقد قسمت البحث إلى مبحثين؛ الأول: في المعاني المدحية في شعر من عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم، والآخر: في المثير والتعبير، حيث تقصى البحث في أثر المثير في تصنيف الشعراء، وفي المعاني المدحية نفسها، وفي اللفظ، والصورة، والموسيقى، وبنية القصيدة.

المحقق والمؤلف (الجراوي التادلي: الحماسة المغربية، تحقيق: محمد رضوان الدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩١م، ص٦-٧، ص٣٦)

وقد سبق هذا تمهيد تضمَّن التعريف بمنهج البحث، وتوثيق أبيات المعاني المضمنة في هذا البحث، وختم ذلك كله بخاتمة أظهرت أهم النتائج التي توصلنا إليها.

التمهيد:

أولاً: منهج البحث

إن المناهج التي تعنى بالدراسات الأدبية متشعبة متداخلة تداخل العلوم الإنسانية نفسها، لا يمكن بحال من الأحوال أن يطبق أحدها دون غيره من المناهج، أو أن نقول: إن منهجًا واحدًا هو الذي يصلح للتطبيق على هذا البحث أو ذاك، دون اللجوء إلى غيره منها، غير أنه قد يطغى أحدها على غيره. أما المنهج الذي أرتضيه فهو المنهج الذي تفرضه طبيعة البحث ومادته، بحيث تجعل لنا هذه المادة وكيفية تطبيقها سبيلاً ملزمًا لتطبيق منهج معين أو جعله غالبًا لا يؤخر عن غيره.

وطبيعة البحث الذي بين أيدينا فرضت علينا المنهج التحليلي الفني لشعر هذه الفترة التي يتناولها البحث في غرضه الموضوع له؛ حتى نستخلص منه طائفة المعاني المدحية التى التزمها هؤلاء الشعراء. كذلك فإنه قد يفيد من المنهج التاريخي في نواح مختلفة، منها أن شعر هذه الفترة مختلَف في كثير منه؛ في نسبته إلى أصحابه؛ لذا فقد عمدتُ إلى توثيق هذا الشعر من مصادره الأصيلة، وردّ المختلف فيه، أو ترجيح أحد من نسب إليه. ومنها أيضًا الترجمة الموجزة لشعراء هذه الفترة الذين تناولهم البحث، ولا سيما أن البحث يعتمد في أغلبه على بيان الخلفيات الفكرية والثقافية لهؤلاء الشعراء، وهو كذلك يتعلق بجانب نفسي لهؤلاء الشعراء نلمحه بوضوح في مثير الخوف أو الرجاء أو القلق الإيماني عند بعضهم، ويفيدنا في ذلك معرفة حياة الشاعر وسياقات إبداعه الشعري. كل ذلك مما التزمتْ به الحواشي حتى لا أثقل البحث بمتاهات تخرجه عن موضوعه.

ودراسة الشعر نفسه من الناحية التعبيرية التي خرج بها، وما صدر عنه من دوافع تجعلنا نلجأ حتمًا إلى الدراسة الفنية التي تظهر أثر هذه المثيرات في التعبير الفني عندهم.

وقد اقتضى العمل وفق هذا المنهج أن أسير في البحث وفق العناصر التالية:

– تخريج الشعر في هذا البحث من مصادره الأصيلة، مع بيان المختلف في نسبته، وترجيح ما يدخل فيه ضمن البحث، واعتمدت في ذلك على دواوين الشعراء، والمصادر الأدبية، والسير، وكتب السنة.

– أشرت إلى عدة أبيات القصائد التي ورد فيها البيت الذي يختص بالمعنى، واكتفيت في ذلك بالإشارة الأولى إذا تكرر البيت.

– بدأت أولا بذكر المعاني المدحية التي وردت في شعر هذه الفترة.

– ثم انتقلت بعد ذلك إلى دراسة جانبي المثير والتعبير في هذا الشعر، فتحدثت عن أنواع الدوافع التي سيطرت على شعراء البحث، وعلاقتها بهذه المعاني، وقسمتها إلى أقسام أتاحتها لي مادة البحث.

– وفي دراسة الجانب التعبيري تعرضت لأثر هذه الدوافع في التعبير الفني من ناحية الألفاظ والصور والبناء الشكلي والموضوعي للقصيدة أو المقطعة.

ثانيًا: توثيق أبيات البحث

اعتمد البحث في شعر المديح النبوي على ما جَمعه صاحب الحماسة المغربية في الباب الذي عقده لمديح الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وذلك أن هدف هذا البحث استيفاء المعاني المدحية التي ذكرها الشعراء في حياة النبي

صلى الله عليه وسلم، سواء أكان الشاعر مسلمًا أم كافرًا. ثم إن المعاني التي استوفاها البحث لا يكاد يخرج عنها معنى من المعاني التي جاءت في دووين الشعراء أنفسهم في غير ما اختار صاحب الحماسة إلا ما ندر.

وكان أول ما يهم بحثنا هذا أن نوثق الأبيات الواردة في الحماسة – مادة البحث عندنا– ونسبتها إلى أصحابها، ولم يكن ذلك إلا فيما اختلف فيه. وقد اتبعت في ذلك عددًا من الضوابط:

– توثيق البيت من ديوان الشاعر نفسه –إن وجد– وكذلك المصادر الأصيلة التي ذكرت البيت، أو القصيدة التي تضمنته.

– عرض الخلاف بين العلماء في نسبة الأبيات لأصحابها، وترجيح الصحيح منها مع بيان السبب في ذلك.

– استبعدت ما خرج عن الفترة الزمنية التي حددها البحث، سواء أكان هذا الخروج فيما صحت نسبته، ولكنه قيل بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، أم كان فيما لم يصح نسبته فنسب لشاعر من غير هذه الفترة. وقد أفادنا في ذلك أقوال أهل العلم بالشعر، وترجمات الشعراء لبيان تواريخ الميلاد والوفيات، وموافقة الحوادث المضمنة لعصر الشاعر، أو أن يكون طرفًا فيها.

وكان مما اختلف فيه:

- قصيدة العباس بن عبد المطلب نسبت له، ونقلها ابن كثير عن الحافظ البيهقي بإسناده منسوبة لخُريم ابن حارثة[1]، ونسب في الحماسة البصرية لحَرِيم بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي، ووهم محقق الحماسة البصرية فحسبه تصحيفًا، وأنه ربما قصد صاحب الحماسة البصرية حبيب بن

١ البيهقي: دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ (٥/ ٢٦٧)

أوس، يعني أبا تمام([1]). وروى ابن عساكر خبرًا نَسب فيه بعض هذا الشعر لحسان بن ثابت، ثم قال: "وهذا الأثر روي من وجه غريب جدًا، والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس رضي الله عنه" ([2])

ورجح محقق الحماسة المغربية كونها للعباس، وسبب الوهم عند صاحب البصرية أن هذا الشعر رواه صحابي آخر هو: خريم بن أوس الطائي[3].

ووجه آخر للترجيح أن نسبة هذه الأبيات عند أصحاب السير والتواريخ جميعهم للعباس بن عبد المطلب([4]).

أما نسبتها لحسان فلم نعرفه إلا من هذه الرواية التي ذكرها ابن عساكر، فضلاً عن عدم ذكرها في ديوان حسان. والأبيات في تاريخ دمشق لابن عساكر وقد ذكرها بإسنادين؛ الأول ينتهي إلى ابن عباس، وفيه: قال

---

١ صدر الدين بن أبي الفرج البصري: الحماسة البصرية، صححه: مختار الدين أحمد ام، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدآباد الدكن، الهند، ١٩٦٤م، ١٩٣/١.

٢ ابن عساكر: (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر): تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م، ٣/ ٤٠٧، و٤١٠/٣

٣ الجراوي التادلي: الحماسة المغربية، تحقيق: محمد رضوان الدية، دار الفكرالمعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩١م، (٤٥/١)

٤ انظر: (ابن منده: معرفة الصحابة، مطبوعات جامعة الإمارات، ٢٠٠٥م، ص٥٢١) (أبو نعيم: معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ٩٨٣/٢) (ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ١٩٩٢م، ٤٤٧/٢) (ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، ٦٠٧/١)

ابن عباس فقال لي حسان بن ثابت في النبي (صلى الله عليه وسلم): الأبيات، والثاني إلى خريم بن أوس. وتعليق ابن عساكر السابق بالغرابة كان على الإسناد الأول. أما الثاني فقد ذكره بعدما أقر أن المحفوظ في هذه الأبيات أنها للعباس[١]. وزاد ابن كثير بعدما أورد رأي ابن عساكر بالغرابة، قال: "قلت: بل مُنكر جدًا" [٢].

- أبيات علي بن أبي طالب التي أولها: ألم تر أن الله أبلى رسوله..."

أنكرها ابن هشام، ونقلها عنه أصحاب السير مع ذكر نكرانه لها دون تعليق[٣]. ولم يزد محقق الحماسة المغربية عن ذلك. وقد رردت هذه الأبيات لإجماع العلماء على نكرانها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

- أبيات عمر بن الخطاب التي أولها: ألم تر أن الله أظهر دينه... وهي في كتب السير منسوبة له رضي الله عنه، ونقلها الحصري القيرواني[٤]. ولم يشكك أحد في نسبتها له، والداعي لذكرها هنا أنها تحمل المعاني نفسها في القصيدة التي نسبت لعلي بن أبي طالب.

---

٣ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣/ ٤٠٧، و٣/٤١٠

٢ ابن كثير: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٦ م، (١/ ١٩٧)

٣ سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى: ٦٣٤هـ): الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والثلاثة الخلفاء، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ، (٣٥٩/١)، ابن كثير: السيرة النبوية، ٥٢٥/٢، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م، ١٢٥/٤.

٤ الحصري القيرواني: زهر الآداب، دار الجيل، بيروت، ٧٤/١

- أبيات طالب بن أبي طالب التي أولها: فما إن جنينا من قريش...

وطالب هذا كما ذكرت كتب السير قد انقطع خبره بعد بدر[1]، وأبياته هذه في بكاء أهل القليب من قتلى المشركين ببدر. فربما قال قائل: لا تصح نسبتها له وقد أجمع أهل السير على انقطاع خبره بعد بدر. فالجواب: أنهم لم يحددوا مدة الانقطاع بعد بدر. ثم إن انقطاع خبره لا يعني عدم نسبتها له، فربما قالها يوم بدر وصارت على ألسنة الناس كغيرها من القصائد التي قيلت في أصحاب القليب. فالكلام على انقطاع خبر الشخص نفسه لا على نسبة الأبيات.

- أبيات أبي الطفيل عامر بن واثلة: إن النبي هو النور الذي كشفت به[2]... ردَدْناها؛ حيث إن عامر ولد عام أحد، ومات سنة ١١٠هـ، فقد كان ابن سبع سنين وقت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

- بيتا كعب بن زهير في الحماسة، أولهما: تحمله الناقة الأدماء معتجرًا...

قال صاحب الحماسة: وتروى لأبي دهبل الجمحي. ورد البيت منسوبًا لكعب بن زهير، ولأبي دهبل الجمحي، ولعبد الله بن رواحة؛ ومن نسبهما إلى كعب فإنه كان تحت قولهم: أصدق أو أمدح بيت قالته العرب٣، ومن نسبهما

---

[1] الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، ط١، ١٩٦٨م، دار صادر، بيروت: (١/ ١٢١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (٢/ ٨١٧) أسد الغابة: (٣/ ٦٤).

[2] الحماسة المغربية (١/ ٦٣)

[3] المرزباني: معجم الشعراء، تحقيق: ف.كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م: ص٣٤٣، الحصري القيرواني: زهر الآداب، ١١٦١/٤، ابن رشيق: العمدة، محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م: (١٣٦/٢)، الحماسة المغربية: ٧٠/١.

إلى أبي دهبل فقد ذكرهما ضمن ترجمة أبي دهبل نفسه[1]، ومن نسبهما إلى عبد الله بن رواحة فإنه كان في تمثيلهم جناس العكس[2].

والبيتان لأبي دهبل في ديوانه، وليسا في ديوان كعب بن زهير الذي صنعه السكري، وهما في ديوان ابن رواحة الذي جمعه وليد قصاب[3].

ومن نسب البيتين لكعب تحت قولهم أمدح بيت قالته العرب، فربما كان ذلك لموافقة أمدح الشعر لأعظم ممدوح، وهو النبي صلى الله عليه وسلم. ويؤيد ذلك اعتراض الأصمعي على من نسبهما لغير كعب في قوله: " والجهال يروون هذا البيت لأبى دهبل، واسمه وهب بن ربيعة، فى عبد الله بن عبد

[1] أبو دهبل الجمحي: الديوان برواية أبي عمرو الشيباني، تحقيق: عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة النجف الأشرف، ط١، ١٩٧٢م، ص١٠٢. رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م: (٢٤٥/٢)، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط٢، ٦٠٠/٢، المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ١١٣٢/١.

[2] أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، ص٣٠، ابن أبي الأصبع العدواني: تحرير التحبير في صناعة الشعر، تحقيق: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، ص١٠٨. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣ هـ: (٩٧/٧). ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال–بيروت، ودار البحار–بيروت، ٢٠٠٤م، (٩٣/١).

[3] عبد الله بن رواحة: الديوان، جمعه وليد قصاب، دار العلوم للطباعة، الرياض، ط١، ١٩٨١م، ص١٦٤.

الرحمن الأزرق والي اليمامة، والصواب ما ذكرناه، وهو بصفات النبيّ صلى الله عليه وسلم أعلق، وبمدحه أليق"[1].

وفي دليله حجة لغيره، فإن الأصمعي قد رجح النسبة من جهة المعنى، فيمكن أن يقال: إنه لما علا المدح، وفاقت معانيه كل معنى، فإن هذه المعاني كانت أولى برسول الله من هذه الجهة. ولا يشترط حينها أن تكون لفلان أو غيره.

والراجح عندي أن هذين البيتين لأبي دهبل لأسباب، الأول: أن من نسبهما إليه كان من باب الرد على من ادّعى أنهما لكعب، والثاني: أن ذِكرهما في ديوانه ضمن قصيدته في مدح ابن الأزرق مع عدم نشوزهما عن سائر القصيدة دليل على نسبتهما إليه، فضلاً عن أن الديوان كله جمعه أبو عمرو الشيباني بروايته. والثالث: أن ديوان كعب بن زهير الذي صنعه السكري قد خلا منهما. والرابع: أن من نسبهما لعبد الله بن رواحة قد استشهد بهما على جناس العكس وكلهم ناقلوه عن الأول منهم، وهو أسامة بن منقذ في تخريجي الذي ذكرت، وأنّ ذِكر البيتين عند من جمع الديوان من المحدثين ليس فيه دليل على صحة نسبته لصاحب الديوان، فضلا عن أنه لم يذكر في تخريجه نسب البيتين لأبي دهبل أصلاً.

- الأبيات التي أولها: (إنَّ البُيوتَ مَعادِنٌ...) نسبها صاحب الحماسة إلى أبي دهبل الجمحي[2]، والاختلاف فيها: هل كانت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، أو في مدح عبد الله بن الأزرق كما ذكر هو؟

[1] الحصري القيرواني: زهر الآداب، ١١٦٢/٤

[2] الحماسة المغربية: ٧٣/١

ولا يهمنا هذا الخلاف؛ إذ إن أبا دهبل نفسه خارج عن المدة التي حددناها لموضوع البحث.

- الأبيات التي أولها: (يا رُكْنَ مُعْتَمِدٍ...) نسبها صاحب الحماسة إلى "جناب الكلبي" والصواب أنها لحسان بن ثابت رضي الله عنه. وجناب هو من رواها كما ذكر في ترجمته في الاستيعاب، حيث قال بعد ذكرها: "قالَ: فقلت من هذا الشاعر؟ فقيل: حسان بن ثابت الأنصاري، فرأيت رسول الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ يدعو له، ويقول له خيرًا"[1].
- أبيات لبيد بن أبي ربيعة التي أولها: أتيناك يا خير البرية... وهي منسوبة للبيد وأعرابي، وقد وردت الروايات بنسبتها لهما[2]. غير أنها

---

١ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢٧٦) وانظر: أسد الغابة (١/ ٣٥٢)، الوافي بالوفيات (١١/ ١٤٥)

٢ هذه الأبيات في ديوان لبيد من غير رواية السكري ما عدا البيتين الأخيرين، انظر الديوان، تحقيق: إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م، ونسبتها في دلائل النبوة للبيهقي لأعرابي أتى النبي صلى الله عليه وسلم (١٤١/٦)، وكذلك في: أبو سعد النيسابوري: شرف المصطفى، دار البشائر الإسلامية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤ هـ، (٥٢٢/٣)، والماوردي: أعلام النبوة،، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ، (ص١٣٠). وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٤٤٠/٩)، وبعضها في إمتاع الأسماع للبيد، انظر: المقريزي: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٩م، (١٢/ ٧٤-٧٥)، والبعض لأعرابي (١٢٦/٥). وللبيد في الحماسة المغربية: ١١١/١، وفي الإصابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ٥٠٢/٥

في المنسوب للبيد مذكورة في قصة مضر التي دعا عليها رسول الله، فأصابتهم سنين كسني يوسف عليه السلام، فأتى لبيد في وفد من قومه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنشده الأبيات. أما في قصة الأعرابي فلم يذكر فيها أكثر من أنهم أصابهم الجدب فجاء مستغيثًا برسول الله، وأنشد الأبيات. والأبيات تكاد تكون واحدة إلا بتغيير في بعض الألفاظ بحسب الروايات.

ولا يشكك في نسبتها إلى لبيد غير بيت الشفاعة مع البيت الذي بعده، وهو غير مذكور في الروايات التي نسبته للأعرابي. فإن بيت الشفاعة والبيت الذي بعده فيه دليل على أن قائله كان على علم بشفاعة رسول الله يوم القيامة، بل على علم بحديث الشفاعة الذي يأتي فيه الناس إلى الرسل يطلبون شفاعتهم، حتى ينتهوا إلى رسول الله.

ويمكن أن يقال: إن هذا العلم قد توافر بانتشار أخبار المسلمين وجريانها بين العرب، فإن قيل هذا وسلمنا به، جاز أن يكون للبيد، وجاز أن يكون للأعرابي. وهو للأعرابي أنسب من هذه الناحية فقد مرت الوفود بالأعراب في البادية. وقد يكون أنسب للبيد إذا قلنا إن لبيدًا كان على علم بأخبار الرسل من قبل[1].

[1] انظر في ذلك مقدمة ديوانه بتحقيق إحسان عباس، ص٣٢

- أبيات تبع أبي كرب[1] التي أولها:

(شَهِدْتُ عَلَى أَحْمدَ أَنَّه... رَسولٌ مِنَ اللهِ بَارِي النَّسْم)

رددناها لتقدم زمنه على زمن النبي بنحو من سبعمائة عام.

١ هو تبع الأوسط أحد ملوك اليمن، نقل الهمداني أنه آمن بالنبي ولم يره. (الهمداني: الإكليل، حرره وعلق حواشيه: نبيه أمين فارس، دار الكلمة صنعاء، ودار العودة بيروت، ٢٢٠/٨)

المبحث الأول:

المعاني المدحية في شعر من عاصر الرسول

نتناول هنا مديح من عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء من مقطعات شعرية لهم أو ضُمِّن في قصائد مدحه عليه الصلاة والسلام، وذلك فيما جمعه صاحب الحماسة المغربية.

ومما اتفق عليه الشعراء في مدحهم صلى الله عليه وسلم جملةً – مدحهم له صلى الله عليه وسلم بـ: النور والهدى وسبل الرشاد، فهو البدر، وهو الضياء , وهو الملجأ والملاذ الحامي لهم، كافل أيتامهم، عصمة أراملهم، جامع شمل منْ تفرق منهم، طيب النسب، عريق الأصل، بعيد النظر، مأمون الجانب، كريم اليد، مظهر الدين وناصره، مكّن الله له، وحباه بنعمته ومحبته، وهو زعيم الأمة، ولواؤها بيده، عزيز، هاد، عادل، رفيع القدر، عظيم الشان، رحيم بالناس، حييّ، وفيّ، قادر على المفسدين، نكال لهم، يعفو عن المعتذرين، راجح العقل، حقّ في قوله، حقّ بما جاء به، صادق صدوق، ليس من البشر في شيء، وهو من ينتظرون من بعيد، بُشِّر به في كتب السابقين، صاحب المعجزات، فخرٌ لمن اتبعه، وفخرٌ بزعامته، خاتم الأنبياء والمرسلين، فهو خير من وطئ الثرى، وحملت الدواب، وخير مأتيّ، وخير من يُفدى، وخير الخلق كلهم –صلى الله عليه وسلم–.

فهذه من جملة المعاني التي استخلصتها من بعض شعرهم في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وسوف أذكرها تفصيلاً فيما يلي.

- **النور والهدى:**

ومما يذكر في هذا الجانب أنَّهم يمدحونه عليه الصلاة والسلام بالنور والضياء، فهو كالبدر.

وقد يذكرون تاريخًا يمدحونه به من إشراق الأرض بمولده، قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه[1]: [من المنسرح]

وَأَنْـــتَ لَمَّـــا وُلِـــدْتَ أَشْـــرَقَتِ الأَرْضُ وَضَـــــاءَتْ بِنُـــــورِكَ الْأُفُـــــقُ

فَـنَحْنُ فِـي ذَلِـكَ الضِّـياءِ وَفِـي النُّـورِ وَسُـــــبُلَ الرَّشَـــــادِ نَخْتَـــــرِقُ[2]

[1] هو الصحابي الجليل شيخ الإسلام والمسلمين حقا، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وورد في بعض الروايات أنه خرج مكرها يوم بدر، وُلِدَ قَبْلَ قَدُومِ أَصْحَابِ الْفِيلِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَكَانَ أَسَنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم بِثَلَاثِ سِنِينَ. وكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ إِذَا قَحَطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ اسْتَسْقَى به. انظر: [الطبقات الكبرى:(٤/ ٥)، شرف المصطفى (٦/ ٤٨) البغوي: معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان – الكويت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م: (٤/ ٣٨٠) معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ٢١٢٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٨١٤)]

[2] الحماسة المغربية: ٤٦/١. وانظر: (معرفة الصحابة لابن منده، مطبوعات جامعة الإمارات، ٢٠٠٥م، ص٥٢١) (أبو نعيم: معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ٩٨٣/٢) (ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ١٩٩٢م، ٤٤٧/٢) (ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، ٦٠٧/١)

وهذا المعنى نفسه نجده عند كعب بن مالك رضي الله عنه[1]: [من البسيط]

فِينَـــا الرَّسُـــولُ شِـــهَابٌ ثُـــمَّ يَتْبَعُـــهُ نُـــورٌ مُضِـــيءٌ لَـــهُ فَضْـــلٌ عَلَـــى الشُّـــهُبِ[2]

وهذا النور الذي في أبيات العباس وكعب رضي الله عنهما إشارة إلى زعامته صلى الله عليه وسلم، فهو في نوره كشهاب في عتمة السماء، تتبعه شهب أخرى من الصحابة الذين اتبعوه.

فهو صلى الله عليه وسلم في ميزان البشر لا يعدله غيره من البشر، سراجاً هاديا، ولكنه ليس سراجًا أرضيًا يهدي من خلفه وحسب، بل نور سماوي يضيء للدنيا كلها فيتبعوه.

[1] كعب بن مالك السلمي الأنصاري: أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن. سكن المدينة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث، وشهد العقبة مع السبعين، أَحَد الْمُخَلَّفِينَ مِنَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا فَتِيبَ عَلَيْهِمْ، شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا إِلَّا بَدْرًا، وَتَبُوكَ، آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ. كان أحد شعراء رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم الذين كانوا يردّون الأذى عَنْهُ، وَكَانَ مجودا مطبوعا، قد غلب عَلَيْهِ فِي الجاهلية أمر الشعر. معجم الصحابة للبغوي (٥/ ١٠٤) معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٣٦٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣٢٣)

[2] الديوان: تحقيق سامي العاني: ص١٧٤، والبيت من قصيدته يوم أحد، وهي في عشرة أبيات. وانظر: [ابن هشام: السيرة النبوية، ١٦١/٢، السهيلي: الروض الأنف، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م: (١١٣/٦)، الصالحي الهاشمي: سبل الهدى والرشاد: (٢٣٧/٤). الحماسة المغربية: ٥٢/١]

وقد يصفون جبينه بهذا النور في الدجى البهيم، كما فعل حسان بن ثابت رضي الله عنه[1]:

مَتَـى يَبْـدُ فِـي الـدَّاجِي الْبَهِـيمِ جَبينـه يَلُـحْ مِثْـلَ مِصْـبَاحِ الـدُّجَى الْمُتَوَقِّـد[2]

وعبر هنا بجبينه، لأن الجبين علامة الرجل، ودليل ظاهر فيه، فهو مثل مصباح الدجى شديد التوقد والإضاءة.

يقول العباس بن مرداس[3]: [من الكامل]

---

[1] حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، قال أبو القاسم البغوي: رأيت في كتاب محمد بن سعد: كان حسان قديم الإسلام ولم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهدًا، وكان يجبن، وكان له سن عالية توفي وله عشرون ومائة سنة عاش ستين في الجاهلية وستين سنة في الإسلام. يكنى أبا عَبْد الرحمن. وقيل: أبا الحسام. كان يقال له شاعر رسول الله صلى الله عليه وَسَلَّمَ. قال أبو عبيدة: فضل حسان بن ثابت على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي صلّى الله عليه وسلّم في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام. معجم الصحابة للبغوي (٢/ ١٥٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٤١) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٥٥)

[2] الديوان: ٤٦٥/١. وانظر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣٤١/١) و(الصالحي الهاشمي: سبل الهدى والرشاد، ٢٣٧/٤) (أسد الغابة: ٤٨٢/١) (الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م: ٩٦/١) (المقريزي: إمتاع الأسماع، ١٤٩/٢)

[3] الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسَ بْنِ أَبِي عَامِرِ بْنُ حَارِثَةَ، أَسْلَمَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَوَافَى رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم فِي تِسْعِمِائَةٍ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى الْخُيُولِ وَالْقَنَا وَالدُّرُوعِ الظَّاهِرَةِ لَيَحْضُرُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم فَتْحَ مَكَّةَ، وحضر حنين، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من أعطى من المؤلفة قلوبهم. ولما أعطى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤلفة قلوبهم من سبي حنين الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن مائة من الإبل، ونقص طائفة ==

يَـــا خَـــاتَمَ النُّبَـــآءِ إِنَّـــكَ مُرْسَـــلٌ بِـــالْحَقِّ كُـــلِّ هُـــدَى السَّـــبِيلِ

فليس هناك هدى إلا هداه. وقوله أيضًا: [من الطويل]

فَمـــــن مبلـــــغ الأقـــــوام أَن رَسُـولُ الْإِلَـهِ راشِـدٌ حَيْـثُ يَمَّمَـا[٢]

فالرشد فيه صلى الله عليه وسلم في كل أحواله، متى اتخذ طريقًا فهو طريق الحق، لا يضل سالكه.

من المائة، منهم عباس بن مرداس، جعل عباس بن مرداس يقول إذ لم يبلغ به من العطاء ما بلغ بالأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن:

أتجعل نهبي ونهب العبيد... بين عيينة والأقرع

فما كان حصن ولا حابس... يفوقان مرداس في مجمع

[الأبيات] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذهبوا فاقطعوا عني لسانه، فأعطوه حتى رضي، وكان شاعرًا محسنًا مشهورًا بذلك. الطبقات الكبرى: (٤/ ٢٧١) البغوي: معجم الصحابة (٤/ ٣٩٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٨١٧) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٥١٢)

[١] العباس بن مرداس: الديوان، جمعه وحققه يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١٩٩١،١م، ص١٢٢. والحماسة المغربية: ١/ ٦٥. والبيت مطلع قصيدة العباس، وهي في اثني عشر بيتًا. (سيرة ابن هشام: ٤٦١/٢) (المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م: (١٦/٣) (الاستيعاب: ٨١٩/٢) (الروض الأنف: ٣٠٧/٧) (إمتاع الأسماع: ٣٦٥/١)

[٢] العباس بن مرداس: ديوانه، ص١٤١. الحماسة المغربية: ٦٨/١. والبيت من قصيدته في يوم حنين: انظر: سيرة ابن هشام: ٤٦٩/٢) و(الروض الأنف: ٣٢٠/٧)

وأشهر الأبيات التي قيلت في ذكر نوره بيت كعب بن زهير رضي الله عنه[1]، فقد سار وانتشر لسير قصيدته وانتشارها.

يقول كعب: [من البسيط]

(إِنّ النَّبِـيَّ لَنـورٌ يُسْتَضـاءُ بِـهِ مُهَنَّـدٌ مِـنْ سُـيوفِ اللهِ مَسْـلولُ[2])

وهو هنا يقرن معنى النور فيه بمعنى آخر من الشجاعة والإقدام، ولكنه ليس مقصودًا لذاته، بل أراد أنه فارق بين الحق والظلم، وبين الهدى والرشاد، وبين الغواية والضلال.

وقد يمدحونه بأنه البدر، الذي يتنامى تدريجيًا حتى يستقر على حاله من البياض. وهو هنا يصور حالة من حالاته وقت ظهوره على الناس بقوله: "تجردا".

---

[1] كَعْبُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى الشَّاعِرُ، أَسْلَمَ بَعْدَ الْفَتْحِ بَعْدَ مُنْصَرَفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الطَّائِفِ، كَاتَبَهُ أَخُوهُ بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ يَحُثُّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، أَوْ يَحْتَرِزُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفْسِهِ وَدَمِهِ فَقَدْ أَهْدَرَهُ. أَسْلَمَ بَعْدَ الْفَتْحِ بَعْدَ مُنْصَرَفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الطَّائِفِ، كَاتَبَهُ أَخُوهُ بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ يَحُثُّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، أَوْ يَحْتَرِزُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفْسِهِ وَدَمِهِ فَقَدْ أَهْدَرَهُ. معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٣٧٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣١٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٤٤٣)

٢ كعب بن زهير: الديوان، صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الشواف للطباعة، الرياض، ط١، ١٩٨٩م، ص١١٥.

يقول عمرو بن سالم الخزاعي[1] لما أتى النبي مستغيثًا بعد غارة قريش على خزاعة، وكانوا في حلف رسول الله: [من الرجز]

(فِـــيهِمْ رَسُـــولُ اللهِ قَـــدْ تَجَـــرَّدا أَبْـيضَ مِثْـلَ الْبَـدْرِ يَنْمِـي صُـعُدا

(فِـي فَيلَـقٍ كَـالبَحر يَزْمِـي مزبـدا فَانْصُـــرْ هَـــداكَ اللهُ نَصـــرًا أَيِّـــدا[2]

فهو البدر الذي يزيد في تمامه وصعوده، وسط كتيبة عظيمة عظم البحر، تحس في تحركهم أنهم البحر قد ماج، ومن شدة جمعهم وسرعته، فإن له أثرًا في حراكهم كأثر الزبد إذا ألقى البحر بموجه إلى البر.

وقد يلجأون إلى معنى النور على أنه علامة ربانية من دلائل نبوته، فيقرنونها بالخاتم (خاتم النبوة). يقول عبد الله بن الزبعرى[3]: [من الكامل]

---

١ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخُزَاعِيُّ الْكَلْبِيُّ الشَّاعِرُ، رَسُولُ بَنِي خُزَاعَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لَاسْتُنْصَارِهِمْ بِهِ عَلَى قُرَيْشٍ حِينَ أَخْفَرُوا ذِمَّتَه. الطبقات الكبرى (٢/ ١٣٤) معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ٢٠١٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٢١)

٢ الواقدي: المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٨٩/١٤٠٩م: (٧٨٩/٢)، (سيرة ابن هشام: ٣٩٤/٢) (ابن عبد ربه: العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ: (١٣٠/٦) (شرف المصطفى: ٧١/٣) (البيهقي: دلائل النبوة: ٧/٥) (الروض الأنف: ٧/ ١٩٨) (أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: ص٣٩) (الحماسة المغربية: ٩٠/١)

٣ أسلم عبد الله بن الزبعرى عام الفتح وحسن إسلامه، وكان ممن يؤذى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أشدّ الأذى فى الجاهلية، فأسلم واعتذر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ==

وَعَلَيْــكَ مِــن سِــمَةِ الْمَليــكِ عَلامَــةٌ نــورٌ أَغَــرُّ وَخَــاتِمٌ مَخْتــومُ[1]

وهذا النور الذي يعبرون به عن الهداية، هو معنى مرادف للهداية، فهو هادي الدنيا، يقول أنس بن زنيم[2]: [من الطويل]

وَأَنْــتَ الّــذِي تُهْــدَى مَعَــدٌّ بِــأَمْرِهِ بَــل اللهُ يَهْــدِيهِمْ وَقَــالَ لَــكَ اشْــهَد

وَمَــا حَمَلَــت مــن نَاقَــةٍ فَــوقَ رَحْلِهَــا أَبَــرَّ وَأَوْفَــى ذِمَّــةً مِــنْ مُحَمَّــدِ

أَحَــثَّ عَلَــى خيــرٍ وَأَوْسَــعَ نَــائِلاً إِذَا رَاحَ كَالسَّــيْفِ الصَّــقِيلِ الْمُهَنَّــدِ[3]

فهو الهادي، وما حملت ناقة مثله في برّه ووفائه، وحثه على الخير.

فقبل عذره، وكان شاعرًا مجيدًا، فقال يمدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: وله فى مدحه أشعار كثيرة ينسخ بها ما قد مضى فى كفره. [النويري: نهاية الأرب: ٣١١/١٧]

[1] ابن الزبعرى: الديوان، تحقيق: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م، ص٤٦. وفي الديوان: من عِلم المليك. (الاستيعاب: ٩٠٤/٣) (الحماسة المغربية: ٨٢/١) (أسد الغابة: ١٣٦/٣) (الوافي بالوفيات: ٩٠/١٧)

[2] "أنس بن زنيم الكناني، ذكر ابن إسحاق في «المغازي» أن عمرو بن سالم الخزاعي خرج في أربعين راكبًا يستنصرون رسول الله صلّى الله عليه وسلم على قريش فأنشده: [الأبيات]، ثم قال: يا رسول الله، إن أنس بن زنيم هجاك، فأهدر رسول الله صلّى الله عليه وسلم دمه، فبلغه ذلك، فقدم عليه معتذرًا، وأنشده أبياتًا مدحه بها، وكلمه فيه نوفل بن معاوية الديلي فعفا عنه". الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٢٧١)

[3] الواقدي: المغازي، ٧٩٠/٢) (سيرة ابن هشام: ٤٢٤/٢) الحماسة المغربية: ٨٧/١ ((أسد الغابة: ١٠٩/١) البيت منسوب لذباب بن فاتك الضبي في الإصابة نقلا عن المرزباني في معجمه (٣٣٦/٢).

ثم إن هذا الهدي الذي له، إنما هو ميراث لأمته، يقول زهير بن صرد: [من البسيط]

إِنَّـــا لَنَشْـــكُرُ آلَاءً وَإِنْ كُفِـــرَتْ وَعِنْـــدَنَا بَعْـــدَ هَـــذَا الْيَـــوْمِ مُـــدَّخَرُ[1]

فهذا الهدي إنما هو نعمة يجب شكرها وإن كفرها آخرون، وهذه النعم سوف تكفينا في مستقبلنا، فَهديُه معنا.

وما جاء به من النور ودلالته على سبل الرشاد، أضاء حولهم، فغمر أنحاءهم، يقول رافع بن عميرة[2]: [من الوافر]

فَبَشَّـــرَنِي بِـــدِينِ الْحَـــقِّ حَتَّـــى تَـــبَيَّنَـــتِ الشَّـــرِيعَةُ لِلْمُنِيـــبِ

---

[1] (الواقدي: المغازي، ٩٥١/٣) (العقد الفريد: ٦/ ١٢٩) (أبو نعيم: معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٩٩٨م: (١٢٢٢/٣) (الاستيعاب: ٥٢١/٢) (الروض الأنف: ٧/ ٣٥٠) (الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م: (٢١٩/٢) (الحماسة المغربية: ٩١/١)

[2] قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: رَافِعُ بْنُ عُمَيْرَةَ الطَّائِيُّ فِيمَا يَزْعَمُ طَيِّ الَّذِي كَلَّمَهُ الذِّئْبُ وَهُوَ فِي ضَأْنٍ لَهُ يَرْعَاهَا فَدَعَاهُ الذِّئْبُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى اللُّحُوقِ بِهِ. قَالَ: وَسَمِعْتُ أَنَّ الَّذِي كَلَّمَهُ الذِّئْبُ سَلَمَةَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْأَكْوَعِ". انظر: إسماعيل الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق: محمد محمد الحداد،دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ: (ص١٨٢) وهو القائل عن نفسه: "كُنْت امْرِئَ نَصْرَانِيّا، وَسُمّيت سَرْجِسَ... " الروض الأنف (٧/ ٥٣٥) وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٤٨٣)

وَأَبْصَـــرْتُ الضِّـــياءَ يُضِـــيءُ حَـــوْلِي أَمَـــامِي إِنْ سَـــعَيْتُ وَمِـــنْ جَنُـــوبِي[1]

ومن صفة هذا الضياء أنه يقيم المعوج، وقرار لما اضطرب، يقول ورقة بن نوفل[2]: [من الوافر]

وَيظْهـــرُ فِـــي الْـــبِلَادِ ضِـــيَاءُ نـــورٍ يُقـــيمُ بِـــهِ الْبَرِيَّـــةَ أَنْ تَموجـــا[3]

- **مدحه بإظهار الدين على يديه، وتمكينه:**

يتخذ المادحون من إظهار الدين على يد نبيه وعلو كلمته، وتمكينه بنصر الله –يتخذون من ذلك معاني مدحية تقوم عليها مدائحهم.

---

(١) والبيتان من قصيدة في سبعة أبيات تنسب لرافع، والحديث أخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخه [١٨/ ١٥]، وقد أشار إلى حديثه: أبو نعيم في المعرفة [٢/ ١٠٥٨]، وابن الأثير في الأسد [٢/ ٤٤]، وحديث أهبان بن أوس مكلم الذئب أخرجه البخاري في تاريخه [٢/ ٤٤– ٤٥] الترجمة ١٦٣٣، وعلقه البيهقي في الدلائل [٦/ ٤٣]. وانظر: الحماسة المغربية: ٩٥/١.

[2] ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشيّ الأسديّ، ابن عم خديجة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ومن خبره أنه خرج في الجاهلية يطلب الدّين هو وزيد بن عمرو بن نفيل، فلقيا اليهود، فعرضت عليهما يهود دينهم، فتهود ورقة، ثم لقيا النصارى فعرضوا عليهما دينهم، فترك ورقة اليهودية وتنصر، وأبَى زيد بن عمرو أن يأتي شيئا من ذَلِكَ..." انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٧٣٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦١٦) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٤٧٤)

[3] سيرة ابن هشام: ١٩٢/١) (الروض الأنف: ٢/ ١٦٤) (الحماسة المغربية: ١٠٩/١) (إمتاع الأسماع: ١٧/٣) (سبل الهدى والرشاد: ١٦١/٢)

فهذا عمر بن الخطاب يفخر بنصر الله، فيمدح به رسوله: (من الطويل)

أَلَـــمْ تَـــرَ أَن اللهَ أَظْهَـــرَ دِينَـــهُ عَلَـــى كُـــلِّ دِيـــنٍ قَبْـــلَ ذَلِـــكَ حَائِـــدِ

وَأَمْكَنَـــهُ مِـــنْ أَهْـــلِ مَكَّـــةَ بَعْـــدَمَا تَـــدَاعَوْا إِلَـــى أَمْـــرٍ مِـــنَ الغَـــيِّ فَاسِـــدِ

غَـــدَاةَ أَجَـــالَ الْخَيْـــلَ فِـــي عَرَصَـــاتِهَا مُسَـــوَّمَةً بَـــينَ الزبيـــرِ وخَالِـــدِ

فَأَمْسَـــى رَسُـــولُ اللهِ قَـــدْ عَـــزَّ نَصْـــرُهُ وَأَمْسَـــى عِـــداهُ مِـــنْ قَتِيـــلٍ وَشَـــارِدِ[1]

وقد يأتي الفخر باتباعه عليه الصلاة والسلام معنى مدحيًا يعولون عليه، ويُتبعون ذلك بالفخر بنصر الله، كقول كعب بن مالك: [من البسيط]

بَـــدَا لَنَـــا فَاتَّبَعْنَـــاهُ نُصَـــدِّقُهُ وَكَـــذَّبُوهُ فَكُنَّـــا أَسْـــعَدَ الْعَـــرَبِ

جَـــالُوا وَجُلْنَـــا فَمَـــا فَـــاؤُوا وَلَا رَجَعُـــوا وَنَحْـــنُ نَثْفِـــنُهُمْ لَـــمْ نَـــأْلُ فِـــي الطَّلَـــبِ

لَيْسَـــا سَـــوَاءً وَشَـــتَّى بَـــيْنَ أَمْرِهِمَـــا حِـــزْبُ الْإِلَـــهِ وَأَهْـــلُ الشِّـــرْكِ وَالنُّصُـــبِ[2]

فهنا يفخر كعب باتباعه، ويأتي ذلك في معرض موازنة بين أهل الحق وأهل الضلال، ثم ينتقل من المخاصمة المعنوية بينهما، والتصديق القلبي والعقلي من المؤمنين، والإنكار القلبي من المشركين، إلى المخاصمة الحسية في ساحة المعركة، فهو فخر بنصر الله.

---

١ زهر الآداب وثمر الألباب (١/ ٧٤) الحماسة المغربية: (٤٣/١)

((٢ الديوان: ١٧٥، (سيرة ابن هشام: ١٦٢/٢) (الروض الأنف: ٦/ ١١٣) (سبل الهدى والرشاد: ٤/ ٢٣٧) (الحماسة المغربية: ٥٢/١-٥٣)

وقد يمدحونه بإظهار الدين على يديه في معرض حديثهم عن الفخر بأنفسهم، وأنهم هم من الأسباب في إظهار الدين، يقول أبو قيس صِرْمَة بن أبي أنس الأنصاري رضي الله عنه[1]: [من الطويل]

فَلَمَّـــا أَتَانَـــا أَظْهَـــرَ اللهُ دِينَـــهُ وَأَصْـــبحَ مَسْـــرُورًا بِطيبَـــةَ رَاضِـــيا[2]

- **ويدخل ضمن هذا المعنى معنى القدرة على المفسدين.**

يقول حسان: [من الطويل]

فَمَـنْ كَـانَ أَو مَـنْ قَـدْ يَكـونُ كَأَحْمَـدَ نظَامـــاً لِحَـــقٍ أَوْ نَكَـــالاً لِمُفْســـدِ [3]

فهو وإن كان نكالًا للمفسدين، لا يكون ذلك إلا مع إحقاق الحق.

وكقول أنس بن زنيم: [من الطويل]

تَعَلَّـمْ رَسُـولَ اللهِ أَنَّـكَ مُـدْرِكِي وَأَنَّ وَعيـــداً مِنْـــكَ كَالأَخْـــذَ بِالْيَـــدِ

((١ قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزّبير: كان أبو قيس صرمة ترهّب في الجاهلية، واغتسل من الجنابة، وهمّ بالنّصرانية، ثم أمسك، فلما قدم النّبي صلّى الله عليه وسلم المدينة أسلم، وكان قوّالاً بالحق، وله شعر حسن، وكان لا يدخل بيتًا فيه جنب ولا حائض، وكان معظّمًا في قومه إلى أن أدرك الإسلام شيخًا كبيرًا، وكان يقول شعرًا حسنًا". الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٣٤٢)

[2] الحماسة المغربية: ١/ ٩٨

[3] حسان بن ثابت: الديوان، تحقيق: وليدعرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م، ٤٦٥/١، الحماسة المغربية: ٦١/١. وفي الديون: أو نكالاً لملحد.

تَعَلَّــمْ رَسُــولَ اللهِ أَنَّــكَ قَــادِرٌ عَلــى كُــلِّ صِــرْمٍ مُثْهِمِــينَ وَمُنْجِــدِ[1]

اعلم رسول الله أنك متى طلبتني أدركتني، وأن تهديدك كأنني في يديك، وأنك قادر ليس على شخص، بل على بيوت متحدة مجتمعة بأكملها، وإن كانت في منخفض من الأرض أو مرتفعه.

- من معاني مدحه صلى الله عليه وسلم **الزعامة والرياسة**

سبق أن أشرنا إلى بيت العباس بن عبد المطلب: [من المنسرح]

فَــنحْنُ فِــي ذَلِــك الضِّــياءِ وَفِــي النُّــ ـــورِ وسُــبُلِ الرَّشَــادِ نَخْتَــرِقُ[2]

وفيه أنه نور، وأنه هاديهم وزعيمهم الذي يقودهم بنوره.

ومثله قول كعب بن مالك: [من البسيط]

فِينَــا الرَّسُــولُ شــهابٌ ثــمَّ يَتْبَعُــهُ نُــورٌ مُضــيء لَــهُ فضــلٌ علــى الشُّــهب

الْحــقُ مَنْطِقــهُ وَالْعــدْلُ ســيرتُهُ فَمــن يُجبــهُ إِلَيْــهِ يــنجُ مــن تَبَــبِ

نَجْــدُ الْمُقَــدَّم ماضِــي الْهَــمِّ مُعْتَــزِمٌ حِــينَ الْقُلُــوبُ عَلــى رَجْــفٍ مِــنَ الرُّعْــبِ

يمْضِــي وَيَــذْمُرُنَا مِــنْ غيــرِ مَعْصِــيةٍ كَأَنَّــهُ الْبَــدْرُ لــمْ يُطْبــعْ عَلــى الْكَــذِبِ

---

[1] الواقدي: المغازي، ٧٩٠/٢) (سيرة ابن هشام: ٤٢٤/٢) الحماسة المغربية: ٨٧/١ ((أسد الغابة: ١٠٩/١) الحماسة المغربية: ٨٧/١

[2] الحماسة المغربية: ٤٦/١

بَـــدَا لَنَـــا فَاتَّبَعْنَـــاهُ نُصَـــدِّقُهُ وَكَـــذَّبُوهُ فَكُنَّـــا أَسْـــعَدَ الْعَـــرَبِ[1]

فمعنى الاتباع هنا لابد فيه من وجود مُتّبِع ومُتّبَع، فهم مُتّبِعون وهو مُتّبَع، والمُتّبَع زعيم من يتبعه.

وفي هذه الأبيات ما في بيت العباس من أنه النور الذي يهديهم إلى الحق، وينجيهم من الضلال والغي، وزاد كعب هنا أنّ أتباعه هم أيضًا نور، وليس هذا إلا مدحًا له عليه الصلاة والسلام، فانظر إلى من كان تابعه نور، فما بالك بالمتبوع؟

ويكرر كعب بن مالك المعنى نفسه في قصيدة أخرى، يقول: [من الطويل]

وَفينَـا رَسُـولُ اللهِ نَتْبَعُ أَمْرَهُ إِذا قَـالَ فِينَـا القَوْلَ لَا نَتَطَلَّعُ[2]

وعند حسان نجده يمزج بين معنى الرياسة ومعنى الشجاعة، يقول: [من المتقارب]

أَظَـــنَّ عُيَيْنَـــةُ إِذْ زَارَهَـــا بِـــأَنْ سَـــوفَ يَهْـــدِمُ فِيهَـــا قُصُـــورا

وَمَنَّيْـــتَ جَمْعَـــكَ مَـــا لَـــمْ يَكُـــنَ وَقُلْـــتَ سَـــنَغْنَمُ شَـــيئًا كَثِيـــرًا

فَعِفْـــتَ الْمَدِينَـــةَ إِذْ زُرْتَهَـــا وَآنَسْـــتَ لِلأُسْـــدِ فِيهَـــا زَئِيـــرَا

---

[1] (الديوان: ١٧٤– ١٧٥)، (سيرة ابن هشام: ١٦٢/٢) (الروض الأنف: ٦/ ١١٣) (سبل الهدى والرشاد: ٤/ ٢٣٧) (الحماسة المغربية: ٥٣/١)

[2] الديوان: ٢٢٤، الحماسة المغربية: ٥٦/١

فَوَلَّـــوْا سِـــرَاعًا كَوَخْـــدِ النَّعـــامِ لَـــمْ يَكْشِـــفوا عُـــنْ مَلَـــطٍّ حَصِـــيرَا

أَمِيـــرٌ عَلَيْنَـــا رَسُـــولُ المَلِيـــكِ أَحْبِـــبْ بِـــذَاكَ إِلَيْنَـــا أَمِيـــرَا[1]

وعُيَيْنة المقصود في هذه الأبيات هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر[2]، أغار على سرح المدينة، فقال حسان أبياته هذه فيه. وهو هنا يصور شجاعة أهل المدينة فهم أسود يزأرون، بزئيرهم وحده تُولّي أمامهم قطعان النعام وهي مسرعة شديدة الإسراع، لذلك لم يكشفوا حصير حظيرة ليروا بعيرًا فضلا عن أن يأخذوه.

ثم يختم هذه الأبيات بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مليكهم، وسيدهم وزعيمهم، فانظر إلى من كانت هذه حالهم من الشجاعة، فما بالك بزعيمهم؟

ومن المعاني التي يقام عليها معنى الزعامة أيضًا، ذكر اللواء، وأنهم دائما تحت لوائه، فهذا العباس بن مرداس يمتدح قائدهم من بني سليم وهو الضحاك

---

[1] الديوان: ١/ ١٦٩، (سيرة ابن هشام: ٢٨٧/٢)، (الروض الأنف: ٧/ ١٦)، (أبو ذر الخشني: الإملاء المختصر في شرح غريب السير، تحقيق: بولس برونله، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص٣٣١، والحماسة المغربية: ٦٢/١

[2] عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ مِنْ صَنَادِيدِ الْعَرَبِ، اسْتَأْلَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ مِنَ الْمُؤَلَّفَة. أسلم بعد الْفَتْح. وقيل: قبل الْفَتْح، وشهد الْفَتْح مسلمًا، وَهُوَ من المؤلفة قلوبهم، وَكَانَ من الأعراب الجفاة. معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ٢٢٤٧)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٢٤٩٩)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٦٣٨)

بن سفيان، ولكنه في الحقيقة يمدح النبي لأن الجيش وقائده في النهاية يرجون بجهادهم طاعة الله ورسوله. يقول: [من الكامل]

يَمْشُـــونَ تَحْـــتَ لِوائِـــهِ وَكَـــأَنَّهُم أَسْـــدُ الْعَـــرينِ أَرَدْنَ ثَـــمَّ عِراكَـــا

مَـــا يَرْتَجُـــونَ مِـــنَ الْقَرِيـــبِ قَرَابَـــةً إِلَّا لِطاعـــــةِ رَبِّهـــــمْ وَهَوَاكَـــــا[1]

والمعنى هنا قريب من المعنى السابق أيضًا من ذكر الشجاعة مقرونة بالزعامة، لكنه زاد هنا ذكر اللواء. واللواء نفسه يكون علامة على الشهرة والرياسة، وصاحبه لا يكون إلا زعيم من يتولاه.

وانظر إلى قوله في وصف النبي بالزعامة يقود جيشًا جرارًا يوم فتح مكة: [من الكامل]

حَتَّـــى صَـــبَحنَا أَهْـــلَ مَكَّـــةَ فَيْلَقـــاً شَـــهْبَاءَ يَقْـــدُمُهَا الْهُمَـــامُ الأَشْـــوَسُ

نَمْضـــي وَيَحْرُسُـــنَا الْإِلَـــهُ بِحِفْظِـــهِ وَاللهُ لَـــيْسَ بضـــائعٍ مَـــنْ يَحْـــرُسُ[2]

وهو هنا أيضًا يمزج معنى الرياسة بالشجاعة والإقدام، فهو الهمام أي الملك العظيم الهمة، وهو الأشوس الجريء على القتال الشديد فيه.

---

[1] الديوان: ص١٢٣، (سيرة ابن هشام: ٤٦١/٢) (المبرد: الكامل في اللغة والأدب: ١٦/٣) (الاستيعاب: ٨١٩/٢) (الروض الأنف: ٣٠٧/٧) (إمتاع الأسماع: ٣٦٥/١)، (الحماسة المغربية: ٦٥/١

[2] الديوان: ص٨٨– ٨٩، (سيرة ابن هشام: ٤٦٨/٢) (الروض الأنف: ٣١٨/٧) ((سبل الهدى والرشاد: ٥/ ٣٤٥) والحماسة المغربية: ٦٧/١

وهو إلى هذا المعنى يميل في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: [من الطويل]

سَــرَيْنَا وَوَاعَــدْنَا قُدَيْــدًا مُحَمَّــدًا يَــؤُمُّ بِنَــا أَمْــرًا مِــنَ اللهِ مُحْكَمــا[1]

يذكر هنا المواعدة بين المشركين والنبي صلى الله عليه وسلم في ((قديد)) وهي قرية بين مكة والمدينة لخزاعة، فيصف النبي عليه الصلاة والسلام يؤم جيشا يتجه به إلى فتح مكة.

وهم مع ذلك يؤمنون به زعيمًا في الدنيا وزعيمًا في جنات الخلد، يقول كعب بن مالك رضي الله عنه:

لأَنــا عَبــدنَا الله لــم نــرج غَيــره رَجَــاء الْجنــان إِذْ أَتَانَــا زعيمهــا[2]

- وتحت هذا المعنى نجدهم يعبرون عن معنى **الفداء**، فهو صلى الله عليه وسلم خير من يفدى.

يقول كعب بن مالك: [من الطويل]

عَصَــــيْتُمْ رَسُــــولَ اللهِ أُفٍّ لِدِينِكُمْ وَأَمْرِكُم السَّــــيِّءِ الَّذِي كَانَ غَاوِيا

وَإِنِّي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لَقَــــــــــائِلُ فِدًى لِرَسُــــولِ اللهِ أَهْلِي وَمَالِيَا[3]

---

[1] الديوان: ص١٤١، (سيرة ابن هشام: ٤٦٩/٢) (الروض الأنف: ٣٢٠/٧) (الحماسة المغربية: ٦٨/١) (سبل الهدى والرشاد: ٥/ ٣٤٦)

[2] الديوان: ٢٦٦، (سيرة ابن هشام: ٢٥/٢) (الروض الأنف: ٢٤٦/٥) (الحماسة المغربية: ٥١/١)

[3] الديوان: ٢٩١، الحماسة المغربية: ١/ ٥٥

فهذا المعنى من الفداء لا يكون إلا لفضله على البشر، وخيريته فوق الناس، فكعب هنا يفديه بماله وأهله.

ويقول عبد الله بن الزِّبَعْرى: [من الكامل]

فَاليَـــومَ آمَـــنَ بِالنَّبِـــيِّ مُحَمَّـــدٍ قَلبِي وَمُخْطِئُ هَـذِه مَحْرومُ

فَاغْفِـر فِـــدًى لَكَ وَالِـــدَايَ كِلَاهُمَـا وَارْحَمْ فَـإِنَّـكَ راحِمٌ مَرْحُومُ[1]

وفدى لك كلمة تستخدم في التعبير عن أقصى ما يمكن أن يقدمه قائلها لمن قالها له، وإن كانت حياته.

ويأتي التعبير عن معنى الفداء بدون هذه الصيغة، فيأتي المعنى كله على أنه فداء. يقول أبو طالب: [من الطويل]

أعُـوذ بِـرَبّ النَّـاسِ مِـنْ كُـلّ طَـاعِنٍ عَلَيْنَـــا بِسُـــوءٍ أَوْ مُلِـــحٍ بِبَاطـــلِ

كَـــذَبْتُمْ وَبَيْـــتِ اللهِ نُبْـــزَى مُحَمَّـــدًا وَلَمَّـــا نُطَـــاعِنْ دُونَـــهُ ونُنَاضِـــلِ

وَنُسْـــلِمَهُ حَتَّـــى نُصَـــرَّعَ حَوْلَـــهُ وَنَـــذْهَلَ عَـــنْ أَبْنَائِنَـــا وَالحَلَائِـــلِ

وَمَـــا تَـــرْكُ قَـــومٍ لَا أَبَالَـــكَ سَـــيِّداً يَحُـــوطُ الـــذِّمارَ غَيْـــرَ ذَرْبٍ مُواكِـــلِ[2]

---

[1] سيرة ابن هشام: ٤١٩/٢) (طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٤٢) (الاستيعاب: ٦٠٣/٣) (الروض الأنف: ٧/ ٢٤٧) الحماسة المغربية: ٨٢/١

[2] أبو طالب بن عبد المطلب: الديوان، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، والأبيات ص٧١، وص٧٤. سيرة ابن هشام: ٢٧٣/١) (سبل الهدى والرشاد: ٣٨٠/٢) (الروض الأنف: ٣/ ٢٦) الحماسة المغربية: ١٠٤/١

وهو هنا يستنكر أن يسلمه لأعدائه إلا وقد صرّعوا حوله.

- **مدحه بجمع الشمل**

ومن المعاني التي تدخل تحت الزعامة ما يكون من مدحه بجمع الشمل، فمن يجمع المتفرقين غير الزعيم؟ كقول الشاعر فيما نُسب إلى علي بن أبي طالب:

فَآمن أقوامٌ بِذَاكَ وأيقنــوا فأمسوا بِحَمْد الله مجتمعي الشمل[1]

- وهو المنتظر الذي انتظره الحنفاء.

يقول ورقة بن نوفل: [من الوافر]

لَجَجْتُ وَكُنتُ فِي الذِّكْرَى لَجُوجَا لِهَمٍّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا

وَوَصْفٍ منْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ فَقَدْ طَالَ انْتِظَاري يَا خَدِيجَا

بِبَطنِ المَكَّتينِ عَلَى رَجَاءٍ حَدِيثُكِ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا

بِمَا حَدَّثْتِنَا مِنْ قَولِ قِسٍ مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرهُ أَنْ يَعُوجَا

بِأَن مُحَمَّدًا سَيَسُودُ قَوْمًا وَيِخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا

وَيظْهرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءُ نُورٍ يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تموجَا

فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَاراً وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فلوجَا

فيا لَيْتَني إذا مَا كَانَ ذاكمْ شَهِدتُ وَكُنتُ أَوَّلَهُمْ وُلُوجَا

[1] الحماسة المغربية: ٤٢/١

وُلُـوجاً فِي الَّــذِي كَـرِهَت قريـشٌ وَلَـوْ عجـتْ بـمكـتـهـا عـجـيـجَـا

أَرَجِّـي بِـالَّـذِي كَـرِهُوا جَـمِـيـعًـا إِلَى ذِي الْعَـــرْش إِن سَفَـلُوا عُروجا[1]

- **الشجاعة:**

يغلب إذا ما أراد الرجل وصف آخر بالشجاعة أن يشبهه بالأسد، يقول مالك بن عوف[2]: [من الكامل]

وَإِذا الكَتيبَـــةُ عَـــرَّدَت أَنْيَابُهـــا بِالسَّـــمْهَرِي وَضَـــرْبِ كُـــلِّ مُهَنَّـــدِ

فَكَأَنَّـــهُ لَيْـــثٌ عَلَـــى أَشْـــبالِهِ وَسْـــطَ الْهَبَـاءَةِ خَـادِرٌ فِـي مَرْصَـدِ[3]

يريد أن الحرب إذا اشتد وطيسها وحميت المعركة، وصارت كل ضربة رمح وسيف منتصب كأنه ناب بعير اشتد وانتصب، فإن النبي وقتها يكون

---

[1] الحماسة المغربية: ١٠٨/١-١٠٩

[2] مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ يُكْنَى أَبَا عَلِيٍّ، كَانَ رَئِيسًا مِقْدَامًا، كَانَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ هَوَازِنَ، وَهُوَ رَئِيسُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، ولحق فِي انهزامه بالطائف، فَقَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لو أتاني مُسْلِما لرددت إِلَيْهِ أهله وماله، فبلغه ذَلِكَ، فلحق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،...، فأسلم، فأعطاه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، كما أعطى سائر المؤلفة قلوبهم، واستعمله رسول الله على من أسلم من قومه، ومن قبائل قَيْس،...، وَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ مُسْلِمًا مَعَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وفتح دمشق". معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٤٧٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣٥٦) الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٥٥٠)

[3] مغازي الواقدي: ٩٥٦/٣، وروايته: بالمشرفي، (سيرة ابن هشام: ٤٩١/٢)، (الطبقات الكبرى: ٦٣٠/١) وروايته مثل رواية الواقدي. (البيهقي: دلائل النبوة، ١٩٨/٥) وروايته: "أم العدي" محل "السمهري" (الروض الأنف: ٣٥٥/٥) الحماسة المغربية: ٧٥/١

ليثًا قائدًا مترقبًا يقظًا، كأنه الأسد في عرينه –من هذا الغبار الشديد من هول المعركة– وسط أشباله، ليس ببعيد عنهم، ليزيد من يقظته وشدة خوفه عليهم.

وتقول عاتكة بنت عبد المطلب: [من الطويل]

أَلَا بِـــأَبِي يَـــوْمَ اللِّقَـــاءِ مُحَمَّـــدٌ إِذَا عَـضَّ مِـنْ عُـونِ الْحُـرُوبِ الْغَـوَارِبُ

كَمَـا بَـرَدَتْ أَسْـيَافُهُ عَـنْ مَلِيلَتِـي زَعَـــازِعَ وَرْدٍ بَعْـــدُ إِذْ هِـــيَ حَالِـــبُ

وَمَـا فَـرَّ إِلَّا رَهْبَـةَ الْمَـوْتِ مِـنْهُمْ حَكِـيمٌ وَقَـدْ أَعْيَـتْ عَلَيْـهِ الْمَـذَاهِبُ[1]

وعاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه الأبيات في يوم بدر، فهو فارس الحروب وشجاعها إذا ما اشتدت الحروب وصارت في أوجها، وسيفه دواء لما هم فيه، فكأنهم محمومون أشد الحمى حتى صارت في عظامهم، لا يرجى شفاؤها، فلا يبرد نارها إلا سيفه، وما كان فرار حكيم (وهو حكيم بن حزام بن خويلد) يوم بدر إلا مخافة هذه الأسياف.

وكثيرًا ما يأتون بمعنى الشجاعة يراد به القدرة ردفًا لمعنى الكرم والبذل، كقول مالك بن نمط الهمداني[2] في رسول الله: [من الطويل]

---

[1] الحماسة المغربية: ٧٦/١، (سبل الهدى والرشاد: ٤/ ١٢٩)

٢ مالك بْن نمط الهمداني،... يكنى أَبَا ثور، وَهُوَ الوافد ذو المشعار. وفد على رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، مع بعض قومه، فكتب له كتابًا أقطعه فيه، وأمره عليهم، واستعمله على من أسلم من قومه. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣٦٠) الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٥٥٩)

وَأَعْطَى إِذا ما طَالِبُ العُرْفِ جاءَهُ وَأَمضى بِحَدِّ المَشرَفِيِّ المُهَنَّدِ[1]

يريدون بالمعنيين أنه يعطي مع قدرته عليهم، لا اتقاء شرٍّ أو غير ذلك.

وكقول أنس بن زنيم: [من الطويل]

أَحَثَّ على خيرٍ وأسبغَ نائلاً اذا راحَ كالسّيف الصَّقيل المُهَنَّدِ[2]

وهو عليه الصلاة والسلام إذا ركب كميت الخيل فإنها تنشط به وتخف، حتى إذا كان ذلك في شدة الوغى، وحمى الوطيس، لا أنها تركن وتؤخر خطوها مخافة شدة الهيجاء، كما قال زهير بن صرد[1]: [من البسيط]

يَا خَيرَ مَنْ مَرِحَتْ كُمْتُ الْجِيَاد بِهِ عِنْد الْهِيَاجِ إِذَا مَا اسْتُوْقِدَ الشَّرَرُ[4]

- وقد يمدحونه عليه الصلاة والسلام بمدحهم أنفسهم، فهذا كعب بن مالك يمدح المسلمين وقت المعركة، لكنه قبل ذلك يذكر زعامته صلى الله عليه وسلم، فهذه الشجاعة التي فيهم إنما هي في زعيمهم الذي يقودهم، يقول: [من الطويل]

---

١ (سيرة ابن هشام: ٥٩٩/٢) (الروض الأنف: ٤٩٨/٧) (الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١٣٦١/٣) (الحماسة المغربية: ٨٥/١) (الإصابة: ٥٥٩/٥) (صبح الأعشى: ٢/ ٢٦٤)

٢ الواقدي: المغازي، ٧٩٠/٢) (سيرة ابن هشام: ٤٢٤/٢) الحماسة المغربية: ٨٧/١ ((أسد الغابة: ١٠٩/١) البيت منسوب لذباب بن فاتك الضبي في الإصابة نقلا عن المرزباني في معجمه (٣٣٦/٢).

٤ (الواقدي: المغازي، ٩٥١/٣) (العقد الفريد: ٦/ ١٢٩) (أبو نعيم: معرفة الصحابة، ١٢٢٢/٣) (الاستيعاب: ٥٢١/٢) (الروض الأنف: ٧/ ٣٥٠) (سير أعلام النبلاء: ٢١٩/٢) (الحماسة المغربية: ٩١/١)

==

أَلا هَل أَتَى غَسَّــان فِي نَأْيِ دَارِهَا وَأَخْبَرُ شَيءٍ بِالأُمُــورِ عَلِيمُهَا

بِأَنْ قَـدْ رَمَتْنَا عَنْ قِسِــيٍّ ضَوَامِرٍ مَعَدٌّ مَعًا جُهَّـــالُهَا وحَلِيمُهَــا

لأَنَّـــا عَبَدْنَـــا اللهَ لَـــمْ نَرْجُ غَيْرَهُ رَجَاء الْجِنَانِ إِذْ أَتَانَا زَعِيمُهَا

.....

فَسَـارُوا وَسِـرْنَـا وَالْتَقَيْنَـا كَأَنَّنَـا أُسُودُ لِقَاءٍ لَا يُرْجَى كَلِيمُهـــــَا

ضَـــرَبْنَاهُم حَتَّى هَوَى فِي مَكَرِّنَا لِمِنْخَرِ سُوءٍ مِنْ لُؤَيٍّ عَظِيمُهَا[٥]

وهذه طريقة كعب في مدحه غالبًا، لكنه قد يؤخر ذكره عليه الصلاة والسلام، يقول:

سَائِلْ قُرَيْشًا غَدَاة السَّفْحِ مِنْ أُحُدٍ مَـــاذَا لَقِينَا وَمَـــا لَاقَـــوْا مِنَ الْهَرَبِ

كُنَّا الْأُسُـــودَ وَكَانُوا النُّمْرَ إِذْ زَحَفُوا مَـــــا إِنْ نُرَاقِـــبْ مِنْ إِلٍّ وَلَا نَسَبِ

فَكَمْ تَرَكْنَـــــا بِهَا مِن سَيدٍ بَطَلٍ حَـامِي الـذِّمـارِ كَرِيم الْجدِّ وَالْحَسَـــبِّ

فِينَا الرَّسُولُ شِهَـــــابٌ ثَمَّ يَتبَعُهُ نُورٌ مُضِـيء لَهُ فَضـلٌ عَلَى الشُّـهُبِ[٦]

---

[٤] (الواقدي: المغازي، ٩٥١/٣) (العقد الفريد: ٦/ ١٢٩) (أبو نعيم: معرفة الصحابة، ١٢٢٢/٣) (الاستيعاب: ٥٢١/٢) (الروض الأنف: ٧/ ٣٥٠) (سير أعلام النبلاء: ٢١٩/٢) (الحماسة المغربية: ٩١/١)

(٥) الديوان: ٢٦٦-٢٦٧، (سيرة ابن هشام: ٢٥/٢) (الروض الأنف: ٢٤٦/٥)

[٦] الديوان: ص١٧٤، (سيرة ابن هشام: ١٦١/٢) (الروض الأنف: ١١٣/٦) الحماسة المغربية: ٥٢/١، سبل الهدى والرشاد: ٤/ ٢٣٧)

ومثل هذا عنده قوله: [من الوافر]

قَضَـــينا مـــنْ تِهَامَـــةَ كُـــلَّ رَيْـــبٍ وَخَيْبـــرَ ثـــمَّ أَجْمَمْنَـــا الســـيوفَا

نُخَيرّهَـــا وَلَـــوْ نَطَقَـــتْ لَقَالَـــتْ قَـــــواطِعُهنَّ دَوْســـــاً أَوْ ثَقيفَـــــا

أَجَـــدَّهم أَلَـــيْسَ لَهُـــمْ نَصـــيحٌ مـــنَ الأَقـــوامِ كَـــانَ بِنَـــا عَرِيفَـــا

يُخَبِّـــرهُمْ بِأَنَّـــا قَـــدْ جَمَعْنَـــا عتـــاقَ الْخَيْـــل والنُّجُـــبَ الطُّروفَـــا

رَئيســـهُمُ النَّبِـــيُّ وَكَـــانَ صُـــلْباً نَقِـــيَّ الْقَلْـــبِ مُصْـــطبراً عَزوفَـــا

نُطيـــعُ نَبيَّنَـــا ونُطيـــعُ رَبَّـــا هُـــوَ الـــرَّحْمَن كَـــانَ بِنَـــا رَؤوفَـــا[٧]

ومثل هذه الطريقة المدحية نجد كعب بن زهير في قصيدته المشهورة حين يمدح عصبة النبي صلى الله عليه وسلم، غير أنه يقدم مدح النبي، يقول:

إِن النَّبِـــيَّ لَنُـــورٌ يُسْتَضـــاءُ بِـــهِ مُهَنَّـــدٌ مِـــنْ سُـــيوفِ اللهِ مَسْـــلُولُ

فِـــي عُصْـــبَةٍ مِـــنْ قُـــرَيْشٍ قَـــالَ قَـــائِلهمْ بِـــبَطنِ مَكَّـــةَ لَمَّـــا أَسْـــلَمُوا زُولُـــوا

شُـــمُّ العَـــرَانِينِ أَبْطَـــالٌ لَبُوسُـــهُمُ مِـــنْ نَسْـــجِ دَاوُدَ فِـــي الْهَيْجَـــا سَـــرَابِيلُ

---

(٧) الديوان: ٢٣٤، الواقدي: المغازي، ٨٠٢/٢، (سيرة ابن هشام: ٤٧٩/٢) (ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، مكتبة الخانجي، مصر، (١/ ٢٢١) (زهر الآداب: ١/ ٦٥) (الروض الأنف: ٣٣٢/٧) الإملاء المختصر في شرح غريب السير، ص٤٠٧، الحماسة المغربية: ٥٤/١

لَيْسُــوا مَفَــارِيحَ إِنْ نَالَــتْ رِمَــاحُهُمُ قَوْمًــا وَلَيْسُــوا مَجَازِيعــاً إِذَا نِيلُــوا

لَا يَقَــعُ الطَّعْــنُ إِلَّا فِــي نُحُــورِهِمُ لَيْسَ لَهُمْ عَنْ حِيَــاضِ الْمَــوْتِ تَهْلِيــلُ[٨]

فهو هنا ما أراد مدحهم إلا بمدح قائدهم.

- ويرتبط بالمعنى السابق معنى مدحيّ آخر، وهو أنه **الملجأ والملاذ والأمان**.

يقول طالب بن أبي طالب: [من الطويل]

أَخَــا ثِقَــةٍ فِــي النَّائِبــاتِ مِــرْزَإٍ كَرِيمًــا نَثَــاهُ لَا بَخِــيلًا وَلَا نَزْبــا

يطِيــف بِــهِ الْعَــافُونَ يَغْشَــوْنَ بَابَــهُ يَؤُمُّــونَ نَهْــرًا لَا نَــزُوراً وَلَا صَــرْبا[٩]

فهم يلجأون إليه في النائبات، فلا يجدونه بخيلاً ولا فاسدًا، يغشاه السائلون يطلبون معروفه، فكأنهم يؤمون نهرًا من الخير وافرًا غير منقطع.

وهم يلجأون إليه في غير طلب المعروف، بل لأخذ المشورة والرأي الفصل، يقول كعب بن مالك: [من الطويل]

نُشــاوِره فِــي مَــا نُرِيــدُ فَقَصْــرُنَا إذا مَــا اشْــتَهَى أَنَّــا نُطيــعُ ونَسْــمَعُ[١٠]

فإذا ما اختلط عليهم أمرهم تراهم يسرعون إليه لطلب مشورته، وغايتهم في ذلك أن يطيعوا إذا اشتهى، لا ينتظرون طلبه، فرضي الله عنهم.

---

[٨] الديوان: ١١٥

[٩] سيرة ابن هشام: ٢٧/٢، الروض الأنف: ٢٤٧/٥، الحماسة المغربية: ٤٨/١

[١٠] الديوان: ٢٢٤، الحماسة المغربية: ٥٦/١

وهو كذلك خير مأتي وإليه المشتكى، وهو الشفيع، وهو المؤمل، يقول لبيد (أو أعرابي): [من الطويل]

أَتَيْنَـــاكَ يَـــا خَيـــرَ الْبَريَّـــةِ كُلِّهَـــا ... لِتَرْحَمَنَـــا مِمَّـــا لَقِينَـــا مِـــنَ الْأَزَل

أَتَيْنَـــاكَ نَشْـــكُو خُطَّـــةً جَـلَّ أَمْرُهَـــا ... لسَـــبعِ سِـــنِينَ وَافـــراتٍ عَلَـــى كَحَـــل

فَـــإِن تَـــدْعُ أُخْـــرَى بِـــالقُحُوطِ فَإِنَّنَـــا ... أَحَادِيـــثَ طَسْـــمٍ مَـــا دُعَـــاؤُكَ بِـــالْهَزْلِ

وَإِنْ تَـــدْعُ بِالسُّـــقْيا وَبِـــالْعَفْو تُرْسِـــلُ السَّـــمَاءَ ... لَنَـــا وَالْأَمْـــرُ يَبْقَـــى عَلَـــى الأَصْـــلِ

أَتَيْنَـــاكَ وَالْعَـــذْراءُ تَـــدْمَى لِثَاتُهَـــا ... وَقَـــدْ ذَهِلَـــتْ أُمُّ الصَّـــبِيِّ عَـــنِ الطِّفْـــلِ

وَأَلْقَـــى بِكَفَّيْـــهِ الشُّـــجَاعُ اِسْـــتِكَانَةً ... مِـنَ الْجُـوعِ صَـمْتًا مَـا يُمِـرُّ وَمَـا يُحْلِـي

وَأَنْـــتَ لِـــدُنْيَانَا وَأَنْـــتَ لِـــدِينِنَا ... تُؤَمَّـــلُ لِلـــدُّنْيَا وَلِلْمَوْقِـــفِ الْفَصْـــلِ

لَنَـــا مِنْـــكَ فِـــي يَـــوْمِ الْحِسَـــابِ شَـــفَاعَةٌ ... تُفَـــرِّجُ عَنَّـــا وَالشَّـــفَاعَةُ فِـــي الْأَهْـــلِ

وَلَـــيْسَ لنـــا إِلَّا إِلَيْـــكَ فِرارُنَـــا ... وَأَيْـــنَ فِـــرَارُ النَّـــاسِ إِلَّا إِلَـــى الرُّسُـــلِ[11]

[11] هذه الأبيات في ديوان لبيد من غير رواية السكري ما عدا البيتين الأخيرين، انظر الديوان، تحقيق: إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م، ونسبتها في دلائل النبوة للبيهقي لأعرابي أتى النبي صلى الله عليه وسلم (١٤١/٦)، وكذلك في شرف المصطفى (٥٢٢/٣)، والماوردي: أعلام النبوة،، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ، (ص١٣٠). وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٤٤٠/٩)، وبعضها في إمتاع الأسماع للبيد (١٢/ ٧٤-٧٥)، والبعض لأعرابي (١٢٦/٥). وللبيد في الحماسة المغربية: ١١١/١، وفي الإصابة: ٥٠٢/٥.

وقد جمع هذا المعنى حسان بن ثابت، في بيته المنسوب إلى "جَناب الكلبي": [من البسيط]

يَـــا رُكْـــنَ مُعْتَمِـــدٍ وَعِصْـــمةَ لَائِـــذٍ وَمَـــلاذَ مُمْتَنِـــعٍ وَجَـــارَ مُجَـــاوِرِ[١٢]

فهو عماد المعتمد، وعاصم من يرجو حماه، وحمى المستغيث، وناصر حليفه، فبه يعتصمون.

وقد ظهر هذا المعنى في أبيات عمرو بن سالم الخزاعي حين لاذ به صلى الله عليه وسلم لما أغارت قريش على خزاعة، وكانوا في حلف رسول الله، يقول: [من الرجز]

يَـــا ربِّ إِنِّـــي نَاشِـــدٌ مُحَمَّـــدًا حِلْـــفَ أَبِيـــهِ وَأَبِينَـــا الْأَتْلَـــدَا

إِنَّ قُرَيْشًـــا أَخْلَفُـــوكَ الْمَوْعِـــدَا وَنَقَضُـــوا مِيثَاقَـــكَ الْمُؤَكَّـــدَا

وَجعلُـــوا لِـــي فِـــي كُـــدَاءٍ رَصَـــدَا وَزَعَمُـــوا أَنْ لَسْـــتُ أَدْعُـــو أَحَـــدا

وَهُـــمُ أَذَلُّ وَأَقَـــلُّ عَـــدَدَا هُـــمْ بَيَّتُونَـــا بِـــالْوَتِيرِ هُجَّـــدَا

وَقَتَلُونَـــا رُكَّعًـــا وَسُـــجَّدَا فَـــادْعُوا عِبـــادَ اللهِ يَـــأْتُوا مَـــدَدا

فِـــيهِمْ رَسُـــولُ اللهِ قَـــدْ تَجَـــرَّدا أَبْـــيَضَ مِثْـــلَ الْبَـــدْرِ يَنْمِـــي صُـــعَدَا

---

[١٢] ونسب صاحب الحماسة المغربية هذا البيت لجناب الكلبي: ٨٧/١. وإنما هو لحسان بن ثابت جاءت في ترجمة جناب أنه رواها، وقد وافق قول حسان لها يوم الفتح يوم أسلم جناب هذا. انظر: (الاستيعاب: ٢٧٦/١) و(أسد الغابة: ١/ ٣٥٢)

فِـي فَيْلَـقٍ كَـالْبَحْرِ يَرْمِـي مُزْبِـدَا فَانْصُـرْ هَـدَاكَ اللهُ نَصْـرًا أَيِّـدَا[١٣]

ورديف هذا المعنى المدحي يأتي معنى **الأمن** به، كما يقول ابن مرداس: [من الكامل]

حَتَّـى صَـبَحنَا أَهْـلَ مَكَّـةَ فَيْلَقـاً شَـهْبَاءَ يَقْـدُمُهَا الْهُمَـامُ الأَشْـوَسُ

نَمْضِـي وَيَحْرُسُـنَا الْإِلَـهُ بِحِفْظِـهِ وَاللهُ لَـيْسَ بضَـائِعٍ مَـنْ يَحْـرُسُ[١٤]

فهو هنا إن أراد أن الله يحفظ هذا الفيلق ويحرسه، فلربما أراد أن هذا الحفظ وهذا الأمان إنما هو به، إذ جاء ذكر الحفظ بعد ذكره صلى الله عليه وسلم (الهمام الأشوس).

وهم كذلك يأمنونه على غائبهم، يقول سواد بن قارب: [من الطويل]

فَأَشْـهَدُ أَنَّ اللهَ لَا شَـيْءَ غَيْـرُهُ وَأَنَّـكَ مَـأْمُونٌ عَلَـى كُـلِّ غَائِـبِ[١٥]

---

[١٣] الواقدي: المغازي، ٧٨٩/٢ سيرة ابن هشام: ٣٩٤/٢) (العقد الفريد: ١٣٠/٦) (شرف المصطفى: ٧١/٣) (البيهقي: دلائل النبوة: ٧/٥) (الروض الأنف: ٧/ ١٩٨) (جمهرة أشعار العرب: ص٣٩) (الحماسة المغربية: ١/ ٨٩)

[١٤] الديوان: ص٨٨– ٨٩، (سيرة ابن هشام: ٤٦٨/٢) (الروض الأنف: ٣١٨/٧) ((سبل الهدى والرشاد: ٥/ ٣٤٥) والحماسة المغربية: ٦٧/١

[١٥] سواد بن قارب أحد كهان العرب المشهورين، ولكهانته قبل إسلامه أخبار مشهورة، ذكر خبره أبو علي القالي في الأمالي: ٢٨٩/٢، والآبي: نثر الدر في المحاضرات: ٢١٩/٦، والمرزوقي: الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ٤٠٢/١. والأبيات هذه في قصة إسلامه يحكيها سواد لعمر بن الخطاب، والحديث في البخاري...، غير أن صورته غير الصورة التي في المصادر غيره، وذلك أن القاري علق عليه في ==

وكذلك هم يأمنون به، فلا يُعرف منه الغدر، ولاسيما فيمن أتاه، يقول عبد الله بن الزِّبَعرى: [من الكامل]

إِنِّـــي لَمُعْتَـــذِرٌ إِلَيْـــكَ مِـــنَ الَّـــذِي أَسْـــدَيْتُ إِذْ أَنَـــا فِـــي الضَّـــلالِ أَهِـــيمُ

فَـــالْيَوْمَ آمَـــنَ بِـــالنَّبِيِّ مُحمـــدٍ قَلبِـــي وَمُخْطِـــئُ هَـــذِهِ مَحْـــرُومُ[16]

فهو هنا أراد إيمانه القلبي برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، ولكنه أخفى معنى آخر وراء هذا المعنى، وهو الأمان الحاصل بإيمانه، فهو بعد اعتذار له عما بدر منه فيما قبل إسلامه (قبل الفتح)، وقد كان شاعر قريش.

وفي معنى الأمن به يقول أبو قيس صِرْمَة بن أبي أنس رضي الله عنه: [من الطويل]

فَلَمَّـــا أَتَانَـــا أَظْهَـــرَ اللهُ دِينَـــهُ وَأَصْـــبَحَ مَسْـــرُورا بِطِيبَـــةَ رَاضِـــيا

وَأَلْفَـــى صَـــدِيقًا وَاطْمَأَنَّـــتْ بِـــهِ النَّـــوَى وَكَـــانَ لَنَـــا عَوْنـــاً مِـــنَ اللهِ بَادِيَـــا[17]

العمدة بأن هذه القصة كانت سببًا في إسلام عمر، وهي دون ذكر الأبيات السابقة، والأبيات في: شرف المصطفى: ٢٠٢/١، ودلائل النبوة لأبي نعيم: ١١١/١، وأعلام النبوة للماوردي، ص١٧٠، والجمهرة، ص٥٥ الحماسة المغربية: ٧٨/١ ، وأبياته في الحماسة منسوبة إلى سواد بن غزِيَّة، فخلط المؤلف بينهما، وصححه محقق الحماسة.

[16] سيرة ابن هشام: ٢٤٠/٢) (طبقات فحول الشعراء: ٢٤٣/١) (الاستيعاب: ٩٠٣/٣) (الروض الأنف: ٧/ ٢٤٧) (أسد الغابة: ١٣٦/٣) (الحماسة المغربية: ٨٢/١) (نهاية الأرب: ٣١٢/١٧) (الوافي بالوفيات: ٩٠/١٧)

[17] (سيرة ابن هشام: ٥١٢/١) (ابن قتيبة: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢ م، ٦١) (البيهقي: دلائل النبوة: ٥١٣/٢) (الروض ==

فالنبي قد أتاهم مهاجرًا فأظهر الله دينه في المدينة، وألف بين القلوب، فوجد الصديق المؤازر، واطمأن به الفرقاء، فكان عونهم في الأرض من الله.

وهو لا يكون الملجأ لهم في حال الحروب فقط، بل في حال السلم أيضًا، يقول أبو طالب بن عبد المطلب: [من الطويل]

وَأَبْـيَضَ يُسْتَسْـقَى الْغَمَـامُ بِوَجْهِـهِ ثِمَـالَ الْيَتَـامَى عِصْـمَةَ لِلأَرامِـلِ

يَلُـوذُ بِـهِ الهُـلَّاك مِـنْ آلِ هَاشِـمٍ فَهُـمْ عِنْـدَهُ فِـي نعْمَـةٍ وَفَواضِـلِ[18]

فيصفه بالبياض دليل على الجمال والبهاء والكرم، وهو كذلك مبارك ميمون ينزل الغيث ببركة وجهه، غيّاث اليتامى وكفيلهم، وعصمة الأرامل اللاتي لا أزواج لهن، يتمنعن به. ويحتمي به من هلك من عشيرته، فهم بملاذه في خير النعم، فلا إلى حد الكفاية وكفى، بل إلى فضل وزيادة من هذه النعم.

والأمن به عليه الصلاة والسلام ليس في الدنيا وحسب، بل يكون في الآخرة، فهو **الشفيع**، ومن يتوسل به يوم القيامة.

الأنف: ٤/ ١٩٤) (الحماسة المغربية: ٩٨/١) ونسب ابن قتيبة هذه الأبيات إلى حسان بن ثابت كما قال أبو اليقظان، ثم قال: فأما «محمد بن إسحاق» فذكر أن البيت الأوّل لصرمة بن أبى أنس الأنصاريّ. المعارف: ص١٥١.

[18] أبو طالب بن عبد المطلب: الديوان، ص٧٥، صحيح البخاري: ٢٧/٢ (باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا...) (سيرة ابن هشام: ٢٧٦/١) (طبقات فحول الشعراء: ٢٤٤/١) (أبو هلال العسكري: ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، ٣٧/١) (دلائل النبوة للبيهقي: ١/ ٢٩٩) (الروض الأنف: ٣/ ٣٢ و٣٩) (الحماسة المغربية: ١٠٤/١). والأبيات في نهاية الأرب للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: ٢٤١/١٨)

يقول لبيد بن ربيعة فيما نسب إليه: [من الطويل]

لَنَـــا مِنْـــكَ فِـــي يَـــوْمِ الْحِسَـــابِ تُفَـــرِّجُ عَنَّـــا وَالشَّـــفَاعَةُ فِـــي
وَلَـــيْسَ لنـــا إِلَّا إِلَيْـــكَ فِرارُنَـــا وَأَيْـــنَ فِـــرَارُ النَّـــاسِ إِلَّا إِلَـــى

فالفرار الدنيوي إليه صلى الله عليه وسلم موصول بفرار أخروي يوم الحساب، يوم يفر الناس إليه، يقصدونه للشفاعة.

وفي هذا المعنى يقول سواد بن قارب:[من الطويل]

وَأَنَّـكَ أَدْنَى الْمُرْسَـلِينَ وَسِـيلَـةً مِـنَ اللهِ يَابْنَ الأَكْـرَمِينَ الأَطَـايِبِ
فَمُرْنَـا بِمَـا يَـأْتِيـك مِن وَحْيِ رَبِّنَـا وَإِنْ كَـانَ فِيمَـا جِئْـتَ شَـيْـبُ الـذَّوائـبِ
وَكُنْ لِي شَـفِيعًا يَوْمَ لَا ذو شَـفاعةٍ بِمُغْنٍ فَتِيلاً عَنْ سَـوادِ بنِ قَـارِبِ[٢٠]

فهذا الأمان به، يكون أيضًا في الآخرة، فهو أقرب من أرسله ربه إليه في الشفاعة، يتوسل بها إلى الله يوم القيامة.

يقول ابن رواحة: [من البسيط]

---

[١٩] هذه الأبيات في ديوان لبيد من غير رواية السكري ما عدا البيتين الأخيرين، انظر الديوان، تحقيق: إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م، ونسبتها في دلائل النبوة للبيهقي لأعرابي أتى النبي صلى الله عليه وسلم (١٤١/٦)، وكذلك في شرف المصطفى (٥٢٢/٣)، والماوردي: أعلام النبوة،، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ، (ص١٣٠). وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٤٤٠/٩)، وبعضها في إمتاع الأسماع للبيد (١٢/ ٧٤-٧٥)، والبعض لأعرابي (١٢٦/٥). وللبيد في الحماسة المغربية: ١١١/١، وفي الإصابة: ٥٠٢/٥.

[٢٠] الحماسة المغربية: ٧٨/١

أَنــت النَّبِــيُ وَمَــنْ يُحْــرَمْ شَــفَاعَتَهُ يَــوْمَ الْحِسَــابِ فَقَــدْ أَزْرَى بِــهِ الْقَــدَرُ[٢١]

فبدون هذه الشفاعة يكون مصير الإنسان إلى الزراية، فلا فوز ولا هناءة، فهو الشفيع وحده[٢٢].

ويقول زهير بن صرد: [من البسيط]

فَــاغْفِر عَفَــا اللهُ عَمَّــا أَنْــتَ رَاهِبُــهُ يَــوْمَ الْقِيَامَــةِ إِذْ يُهْــدَى لَــكَ الظَّفَــرُ[٢٣]

- ومن معاني المدح في شعرهم له صلى الله عليه وسلم

أنه ((ليس كالبشر))، وتحت هذا المعنى نجد معاني أخرى.

---

[٢١] الديوان: ١٥٩، (سيرة ابن هشام: ٣٧٤/٢) (البيهقي: دلائل النبوة: ٣٦٠/٤) (الروض الأنف: ٧/ ١٦٦) (الإملاء المختصر في شرح غريب السير: ٣٥٤) (الحماسة المغربية: ١/ ٥٠)

٢٢ ومثلما ورد في أشعارهم ما يدل على أنه الشفيع، فكذلك ورد فيها ما يدل على الكيفية التي ينالون بها شفاعته، يقول حسان بن ثابت:

صــلى الْإِلَــه علــى ابْــن آمِنَــة الَّــذِي جَــاءَت بِــهِ ســبط البنــان كَرِيمًــا

يَــا أَيهَــا الراجــون مِنْــهُ شَــفَاعَة صــلوا عَلَيْــهِ وســلموا تَسْــلِيمًا

فالثناء عليه من الله جعله في هذه المنزلة، فلتكن هذه طريقتكم أيها الراجون شفاعته، بأن تزيدوا من طلب ثناء الله عليه حتى تنالوا شفاعته. الحماسة المغربية: ٦٠/١ وهذان البيتان ليسا في الديوان. وانظر تعليق محقق الحماسة في ٥٩/١.

[٢٣] (الواقدي: المغازي، ٩٥١/٣) (العقد الفريد: ٦/ ١٢٩) (أبو نعيم: معرفة الصحابة، ١٢٢٢/٣) (الاستيعاب: ٥٢١/٢) (الروض الأنف: ٧/ ٣٥٠) (سير أعلام النبلاء: ٢١٩/٢) (الحماسة المغربية: ٩١/١)

- منها، أن خلقه ليس كخلق البشر، وفيه يقول العباس بن عبد المطلب: (من المنسرح)

مِـنْ قَبْلِهَـا طِبْـتَ فِـي الْجِنَـانِ وَفِـي ... مُسْـتَوْدَعٍ حَيْـثُ يُخْصَـفُ الْـوَرَقُ

ثُـمَّ هَبَطْـتَ الْـبِلَادَ لَا بَشَـرٌ ... أَنْـتَ وَلَا مُضْـغَةٌ وَلَا عَلَـقُ

بَـلْ نُطْفَـةٌ تَرْكَـبُ السَّـفِينَ وَقَـدْ ... أَلْجَـمَ نَسْـراً وَقَوْمَـهُ الْغَـرَقُ

تُنْقَـلُ مِـنْ صَـالِبٍ إِلَـى رَحِـمٍ ... إِذَا مَضَـى عَـالَمٌ بَـدَا طَبَـقُ

حَتَّـى احْتَـوَى بَيْتَـكَ الْمُهَـيْمِنُ مِـنْ ... خِنْـدِفَ عَلْيَـاءَ تَحْتَهَـا النُّطُـقُ

وَأَنْـتَ لَمَّـا وُلِـدْتَ أَشْـرَقَتِ الْـ ... أَرْضُ وَضَـاءَتْ بِنُـورِكَ الْأُفُـقُ

فَـنَحْنُ فِـي ذَلِـكَ الضِّـياءِ وَفِـي النّـ ... ـُورِ وَسُـبُلَ الرَّشَـادِ نَخْتَـرِقُ[٢٤]

فما أراده العباس هنا هو أن يبين أنه ليس من جملة البشر، فخلقه في الجنة قبل أن يهبط إلى الأرض، حيث مكان خصف ورق الجنة، إشارة إلى قول الله تعالى في آدم: ((وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة))، أي

[٢٤] ابن منده: معرفة الصحابة، مطبوعات جامعة الإمارات، ٢٠٠٥م، ص٥٢١، أبو نعيم: معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ٩٨٣/٢، ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ١٩٩٢م، ٤٤٧/٢، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، ٦٠٧/١، الحماسة المغربية: ٤٥/١-٤٦

والبيتان الثاني والسادس في ديوان العباس بن مرداس ربما نسبهما المحقق له خطأ؛ إذ قال: وفي اللسان للعباس....

لما ذاق آدم وزوجه الشجرة بدت لهما سوآتهما، فأخذا في جمع أوراق الشجر ليسترا به عورتهما، وهذه إشارة إلى سبب الهبوط للأرض. ويريد بقوله (ثم هبطت في البلاد) أنه هبط صلى الله عليه وسلم في صلب آدم، ثم أشار إلى سفينة نوح عليه السلام، وما فعل الغرق بقومه وبصنمهم نسرا الذي يعبدون، فهو يريد أن يقول إنه ينتقل من صلب نبي إلى نبي حتى صار الشرف في بيتك[٢٥].

وهو عند مالك بن عوف في قوله: [من الكامل]

مَـــا إِن رَأَيْـــت وَلَا سَـــمِعت بِمثلِـــهِ فِـــي النَّـــاس كُلِّهِـــمُ كَمثـــلِ مُحَمَّـــد[٢٦]

لم يُر ولم يسمع بمثله، وغاية إدراك الإنسان في المعرفة بالشخوص أن يراه أو يسمعه، وهو هنا ينفي عنه المثلية من جذورها، فليس لك أن تتصور له مثلا، ولا شبيها لهذا المثل الذي تصورته.

---

٢٥ وهذا المعنى عند أبي دهبل الجمحي –إن كان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم– في قوله:

عقم النِّسَاء فَمَا يلدن شبيهه إِن النِّسَاء بِمثلِهِ عقم

فإنه يستحيل على نساء العالمين أن يأتين بمثله، فكل امرأة مع ولادة مثله وشبيهه عقيم. وأبيات أبي دهبل ترددت بين أن تكون في مدحه عبد الله بن الزبير، أو في مدح النبي، وهي في الحماسة المغربية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم: ٧٣/١

٢٦ الواقدي: المغازي، ٩٥٦/٣ سيرة ابن هشام: ٤٩١/٢، الطبقات الكبرى: ٦٣٠/١، البيهقي: دلائل النبوة: ١٩٨/٥، معرفة الصحابة لأبي نعيم: ٢٤٧٣/٥، الاستيعاب: ٣/ ١٣٥٧، الحماسة البصرية: ١/ ١١٨، الحماسة المغربية: ٧٤/١.

وقد يأتي معنى الأفضلية على البشر مصحوبًا بذكر ناصره، ليدلل على هذه الخيرية، كما في قول حسان المنسوب إلى جناب الكلبي: [من البسيط]

أَنْــت النَّبِــيُّ وَخَيْــرُ عُصْــبَةِ آدَمٍ يَــا مَــنْ يَجُــودُ كَفَــيْضِ بَحْــرٍ زاخِــرِ

مِيكَــالُ مَعْــكَ وَجِبْرَئِيــلُ كِلَاهُمَــا مَــدَدٌ لِنَصْــرِكَ مِــنْ عَزِيــزٍ قَــادِرِ[٢٧]

فذكر أنه خير بني آدم، وأن مدده من الله هم الملائكة، فجبريل وميكائيل قد اختصهما الله لنصرته.

- ومن معاني الخيرية ما جاء في قول طالب بن أبي طالب: (مـــــن الطويل)

فَمَا إِنْ جَنَيْنَا فِي قُرَيْشٍ عَظِيمَــةً سِــوَى أَنْ حَمَيْنَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ التُّرْبَا[٢٨]

فهم لم يرتكبوا في نظر قريش ذنبًا غير أنهم حموا خير الخلق، وخير من وطئ التراب بقدمه.

وهذا المعنى المتمثل في كونه خير من وطئ التراب، يمكن أن يتبعه معنى آخر، هو أنه خير من حملت الدواب، وخير من يُؤتى. يقول العباس بن مرداس: [من الكامل]

---

[٢٧] ونسب صاحب الحماسة المغربية هذا البيت لجناب الكلبي: ٨٧/١-٨٨. وإنما هو لحسان بن ثابت، فقد جاء في ترجمة جناب أنه رواها، وقد وافق قول حسان لها يوم الفتح يوم أسلم جناب هذا. انظر: (الاستيعاب: ٢٧٦/١) و(أسد الغابة: ١/ ٣٥٢)

[٢٨] سيرة ابن هشام: ٢٧/٢، الروض الأنف: ٢٤٧/٥، الحماسة المغربية: ٤٨/١

يَــا أَيهَــا الرَّجــلُ الَّــذِي تَهْــوِي بِــهِ وَجْنَــاءُ مُجْمَــرَةُ الْمَناسِــمِ عِــرْمِسُ

إِمَّــا أَتَيْــتَ عَلَــى الرَّسُــولِ فَقُــلْ لَــهُ حَقًّــا عَلَيْــكَ إِذا اطْمَــأَنَّ الْمَجْلِــسُ

يَــا خَيْــرَ مَــنْ رَكِــبَ الْمَطِــيَّ وَمَــنْ مَشَــى فَــوْقَ التُّــرَابِ إِذا تُعَــدُّ الْأَنْفُــسُ[29]

فهو يخاطب من يأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو لا يأتيه على مهل، بل من شدة الشوق إليه يأتيه مسرعًا، متحملاً طول السفر، فناقته وجناء غؤور عينيها، وهو أيضًا خير من ركب المطي، وخير من مشي فوق التراب، وعد من شئت من البشر فلن تجد له نظيرًا.

وهم يذكرون معنى إتيانه مصحوبًا بطول السفر؛ دليلاً على عظم الممدوح ورفعته، يقول مازن بن الغضوبة: [من الطويل]

إِلَيْــــــك رَسُــــــــول الله خَبَّتْ مَطِيَّتِــــي تَجُوب الفَيـافي مِنْ عُمـانَ إِلَى العَرْجِ

لِتَشْــفَعَ لِي يَـا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَــى فَيَغْفِــرَ لِــي رَبِّي فَأَرْجِعَ بالفَلْــجِ[30]

فالمعاني الثلاثة هنا مجتمعات من أنه خير مأتي مع طول السفر، وخير من وطئ الحصى، وأنه الشفيع الذي إليه يلجأون.

وممن ذكر هذا المعنى من كونه خير من حملت الدواب عبد الله بن الزبعرى: [من الكامل]

---

[29] الديوان: ص٨٨– ٨٩، سيرة ابن هشام: ٤٦٧/٢– ٤٦٨) (الروض الأنف: ٧/ ٣١٨) الحماسة البصرية: ١١٩/١ الحماسة المغربية: ٦٦/١

[30] شرف المصطفى: (٢٥٠/١) (دلائل النبوة لأبي نعيم: ١١٤/١) (الدلائل للبيهقي: ٢٥٧/٢) (الاستيعاب: ١٣٤٤/٣) الحماسة المغربية: ٧١/١

يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَـــا عَيْرَانَـــةٌ سُـــرُحُ الْيَدَيْنِ غَشُـومُ[٣١]

فهو خير من حملت ناقة، ووصف الناقة التي تحمله بأفضل الصفات التي توصف بها ناقة العربي من كونها شديدة نشيطة عظيمة صلبة، وهي مع ذلك خفيفة اليدين سريعة لا تخطئ وجهاتها.

وقد يأتي هذا المعنى مصحوبا بقوته وقدرته على أعدائه كما عند مالك بن نمط الهمداني: [من الطويل]

وَأَعْطَى إِذا مَا طَالِبُ العُرْفِ جاءَهُ وَأَمضى بِحَدِّ المَشرَفِيِّ المُهَنَّدِ[٣٢]

أو مصحوبًا ببرّه بالعهود ووفائه وإخلاصه صلى الله عليه وسلم كما عند أنس بن زنيم الديلي: [من الطويل]

وَمَـا حَمَلَـتْ مِـنْ نَاقَـةٍ فَـوْقَ رَحْلِهَـا أَبَـرَّ وَأَوْفَـى ذِمَّـةً مِـنْ مُحَمَّـدِ[٣٣]

ويرتبط بمعنى أنه خير مأتي معنى آخر أشرنا إليه سابقًا وهو معنى سرعة إتيانه، كما في قول سواد بن قارب: [من الطويل]

أَتَـانِي نَجِيِّـي بَعْـدَ هَـدْءٍ وَرَقْـدَةٍ وَلَـمْ يَـكُ فِيمَـا قَـدْ بَلَـوْتُ بِكَـاذِبِ

ثَـلَاثَ لَيَـالٍ قَوْلُـهُ كُـلَّ لَيْلَـةٍ أَتَـاكَ نَبِـيٌّ مِـنْ لُـؤَيِ بـنِ غَالِـبِ

---

[٣١] سيرة ابن هشام: ٤١٩/٢، طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٤٢، الاستيعاب: ٦٠٣/٣، الروض الأنف: ٧/ ٢٤٧، الحماسة المغربية: ٨٢/١

٣٢ الحماسة المغربية: ٨٥/١

[٣٣] الواقدي: المغازي، ٧٩٠/٢) (سيرة ابن هشام: ٤٢٤/٢) الحماسة المغربية: ٨٧/١ (أسد الغابة: ١٠٩/١) الحماسة المغربية: ٨٧/١

فَرَفَّعْـــتُ أَذْيَـــالَ الْإِزَارِ وَشَـــمَّرَتْ بِيَ الْعِرْمِسُ الوَجْنَـاءُ حَوْلَ السَّبَـاسِبِ[٣٤]

فهو قد رفع أذيال إزاره وشمر وأعدَّ ناقته الوجناء التي تتحمل السفر حتي يطير إلى داعي الحق.

- ويدخل تحت معنى الخيرية معنى الاصطفاء، اصطفاء الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن الزبعرى: [من الكامل]

وَالله يشْـــهدُ أَنَّ أَحْمَـــدَ مُصْـــطَفًى مُسْـــتَقْبَلٌ فِـــي الصَّـــالِحينَ كَـــرِيمُ[٣٥]

وقول حسان: [من البسيط]

يَـا مَـنْ تَخَيَّـرَهُ الْإِلَـهُ لِخَلْقِـهِ وَحَبَـاهُ بِـالْخُلُقِ الزَّكِـيِّ الطَّـاهِرِ[٣٦]

فقد اصطفاه الله من بين خلقه، واختصه بمحبته، وخصّه بالخلق الطاهر الزكي.

- وداخل في الخيرية أن يمدحوه **بما حباه الله به من المحبة**

يقول العباس بن مرداس: [من الكامل]

إِنَّ الْإِلَهَ بَنَي عَلَيْكَ مَحبَّةً فِي خَلْقِهِ وَمُحَمَّدًا سَمَّاكَا[٣٧]

---

[٣٤] الحماسة المغربية: ٧٨/١

[٣٥] سيرة ابن هشام: (٤٢٠/٢) (الروض الأنف: ٧/ ٢٤٧) الحماسة المغربية: ٨٢/١

[٣٦] الحماسة المغربية: ٨٨/١

[٣٧] الحماسة المغربية: ٦٥/١

وقول ابن الزبعرى: [من الكامل]

أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّةٍ بُرْهَانَهُ شَرَفاً وَبُرْهَانُ الْإِلَهِ عَظِيمُ[٣٨]

فهو عليه الصلاة والسلام قد اختصه الله بحبه، يقول أبو طالب: [من الطويل]

وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ مَحَبَّةً وَلَا خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللهُ بِالحُبِّ[٣٩]

- **معنى الكرم**

غالبا ما يصف الشعراء رسول الله بمعنى الكرم، يفردونه أو يقرنونه بمعنى آخر. ومنه قول أبي طالب: [من الطويل]

أَخَـا ثِقَـةٍ فِـي النَّائِبَـاتِ مِـرْزَإٍ كَرِيمًـا نَشَـاهُ لَا بَخِـيلًا وَلَا ذَرْبَـا

يطِيـف بِـهِ الْعَـافُونَ يَغْشَـوْنَ بَابَـهُ يَؤُمُّـونَ نَهْـرًا لَا نَـزُوراً وَلَا صَـرْبا[٤٠]

فهو ضامنهم وقت الشدائد، كريم غير بخيل ولا فاسد متغير، يغشاه طالبو المعروف، فلا يرد أحدهم صفر اليدين، فإنما يأتون إلى نهر من الكرم موفور العطاء غير منقطعه.

وهم إن كانوا يشبهون كرمه بالنهر، فإنهم كذلك يشبهونه بالبحر الزاخر الفياض، كما في قول حسان بن ثابت: [من البسيط]

---

[٣٨] الحماسة المغربية: ٨٠/١

[٣٩] أبو طالب بن عبد المطلب: الديوان، ص٢١١، الحماسة المغربية: ١٠٥/١

[٤٠] سيرة ابن هشام: ٢٧/٢، الروض الأنف: ٢٤٧/٥، الحماسة المغربية: ٤٨/١

أَنْــتَ النَّبِــيُّ وَخَيْــرُ عُصْــبَةِ آدمٍ يَــا مَــنْ يَجُــودُ كَفَــيْضِ بَحْــرٍ زَاخِــرِ[41]

وهذا الإعطاء ليس إعطاء للكفاية، بل إعطاء وفرٍ وزيادة، يقول مالك بن عوف النصري:

أوفى وَأعْطى للجزيــل إذا اجتــدي وَمَتى تشــأ يُخْبِرك عَمَّــا فِي الْغَد[42]

ومثله قول مالك بن نمط الهمداني: [من الطويل]

وَأَعْطَى إِذا مَا طَالِبُ العُرْفِ جاءَهُ وَأَمضى بِحَدِّ المَشرَفِيِّ المُهَنَّدِ[43]

ويقول أنس بن زنيم: [من الطويل]

أَحَثَّ عَلى خيرٍ وَأَوْسَــعَ نَـائِلَاً إِذا رَاحَ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ المُهَنَّدِ

---

[41] سبق الكلام عليه، وهو في الحماسة المغربية: ٨٨/١

وهذا الكرم يستوي منه في حال الوفر وحال العدم، يقول أبو دهبل الجمحي فيما ذكر في الحماسة –إن كان في مدح النبي–:

متهلل بنعم بلَا متباعدٌ سيان مِنْهُ الوفر والعدم

(الحماسة المغربية: ٧٣/١) فهو مستبشر فرح طلق الوجه لا تجد منه إلا قول نعم، لا يقول في وجه قاصده لا، ولا يصك وجهه عنه، يستوي عنده الغنى والفقر، يعطي في حال غناه كما يعطي في حال فقره.

[42] الواقدي: المغازي، ٩٥٦/٣ سيرة ابن هشام: ٤٩١/٢) (الطبقات الكبرى: ٦٣٠/١) (البيهقي: دلائل النبوة: ١٩٨/٥) (معرفة الصحابة لأبي نعيم: ٢٤٧٣/٥) (الاستيعاب: ٣/ ١٣٥٧) (الحماسة البصرية: ١/ ١١٨) (الحماسة المغربية: ٧٥/١)

٤٣ الحماسة المغربية: ٨٥/١

وَأَكْسَى لِبُرْدِ الْخَالِ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ المُتَجَرِّدِ[٤٤]

فهو يعطي العطاء الوفير من بُرود الخال، وهي أثواب يمانية من أجود أنواع الثياب، فلا يعطي إلا ما زادت قيمته، وعطاؤه يكون قبل السؤال، فلا ينتظر السؤال. والسابق هو الفرس، والمتجرد إذا تجرد عن غيره فسبقهم.

وقال أعْشى بني قيس: [من الطويل]

مَتَى مَا تُناخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هاشِمٍ تُرَاحِي وَتَلْقَيْ مِنْ فَواضِلِهِ يَدَا

نَبِيٌّ يَـــرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذِكْـــرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا

لَهُ صَدَقَـــاتٌ مَا تُغَـبُّ وَنَائِـــلٌ وَلَيْسَ عَطاءَ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدَا[٤٥]

فإن راحة ناقته لا تكون إلا عند باب النبي صلى الله عليه وسلم، فهو هنا يخاطبها بأنه إذا أناخها عند بابه فسوف تجد الجود والعطاء، ومن ثم الراحة، فهو بعيد النظر يرى ما لا يرون، أما ذكره فقد طار في الدنيا بين منخفضها ومرتفعها. وأما هذا العطاء فغير منقطع، وغيرممنوع في الغد.

وهو سبط البنان يداه مبسوطتان، كما في قول الشاعر المنسوب إلى حسان: [من الكامل]

---

[٤٤] الواقدي: المغازي، ٧٩٠/٢) (سيرة ابن هشام: ٤٢٤/٢) الحماسة المغربية: ٨٧/١ ((أسد الغابة: ١٠٩/١) الحماسة المغربية: ٨٧/١

[٤٥] الأعشى: ديوانه، تحقيق: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص١٣٥، الحماسة المغربية: ١١٤/١

صـلّى الْإِلَـهُ عَلَـى ابْـنِ آمِنَـةَ الَّـذِي جَـاءَت بِـهِ سَـبْطَ البَنَـانِ كَرِيمًـا[٤٦]

- **معنى الصدق**

كما في قول كعب بن مالك: [من الطويل]

نَبِـي لَـهُ فِـي قومِـهِ إِرْثُ عِـزَّةٍ وَأَعْـرَاقُ صِـدْقٍ هَـذَّبَتْهَا أُرُومُهَـا[٤٧]

فالصدق فيه وفي أصوله، وهو هنا يمزج بين معنى الصدق ومعنى العزة في قومه.

وقول مالك بن نمط الهمداني: [من الطويل]

بِـأَنَّ رَسُـولَ اللهِ فِينَـا مُصَـدَّقٌ رَسُولٌ أَتَى مِن عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُهْتَدِ[٤٨]

فهو مصدَّق لصدقه، فما قوله إلا من عند ذي العرش.

وقول رافع بن عميرة لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم: [من الوافر]

فألفيتُ النَّبِيَّ يَقُولُ قَوْلًا صَدُوقًا لَيْسَ بالْقَوْلِ الكَذُوبِ[٤٩]

ومنه قول أبي طالب: [من الطويل]

---

[٤٦] الحماسة المغربية: ٦٠/١

[٤٧] الديوان: ٢٦٦، الحماسة المغربية: ١/ ٥٠

[٤٨] الحماسة المغربية: ٨٥/١

[٤٩] قالوا إن رافع هو مكلم الذئب (شرف المصطفى: ٤١٠/٣) (الاستيعاب: ٢/ ٤٨٣) الحماسة المغربية: ٩٥/١) (أسد الغابة: ٤٤/٢) (نهاية الأرب: ١٨/ ٣٢٥) (الإصابة: ٣٦٧/٢) (سبل الهدى والرشاد: ٥١٧/٩)

وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مُكَذَّبٌ لَدَيْنا وَلَا يُعْنَى بِقَوْلِ الأَبَاطِلِ[٥٠]

فقد عاينوه قبل بعثته، حتى لقد وصفوه بالصادق الأمين، ولم يكن همه ولا عنايته بباطل القول ومخترعه وفاسده.

وقول كعب بن مالك: [من البسيط]

الْحَقُ مَنْطِقُهُ وَالْعَدْلُ سِيرَتُهُ فَمَنْ يُجِبْهُ إِلَيْهِ يَنْجُ مِنْ تَبَبِ[٥١]

فمنطقه وحكمه الحق، وسيرته العدل، من تبعه نجا من الخسران.

وقول حسان: [من الوافر]

وَقَالَ اللهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ[٥٢]

- **معنى الحق والعدل**

وهذا المعنى مرتبط بسابقه من الصدق، فالعدل لا يتحقق إلا مع الصدق وقول الحق، كما في قول كعب السابق الْحق مَنْطِقه... وقول حسان: يَقُول الْحق إِن نفع الْبلَاء

ومثله قول حسان أيضًا وقد سبق ذكره:

---

٥٠ أبو طالب بن عبد المطلب: الديوان، ص٨٤، سيرة ابن هشام: ٢٨٠/١) (الروض الأنف: ٣/ ٣٨) (الحماسة المغربية: ١٠٤/١) (سبل الهدى والرشاد: ٣٨١/٢)

٥١ الديوان: ١٧٤، (سيرة ابن هشام: ١٦١/٢) (الروض الأنف: ١١٣/٦) الحماسة المغربية: ٥٣/١، سبل الهدى والرشاد: ٤/ ٢٣٧)

٥٢ حسان بن ثابت: الديوان، ١٨/١، سيرة ابن هشام: ٤٢٣/٢) (الروض الأنف: ٢٥٤/٧) الحماسة المغربية: ٥٨/١، سبل الهدى والرشاد: ٥/ ٢٦٢)

فَمن كَانَ أَو منْ قدْ يَكُونُ كَأَحْمَدٍ نِظَاماً لِحَقٍّ أَوْ نَكَالاً لِمُفْسِدِ[٥٣]

ومنه قول العباس بن مرداس السابق ذكره:

يَا خَاتم النبآء إِنَّك مرسلٌ بِالْحَقِّ كلّ هدى السَّبِيل هداكا[٥٤]

وهذا العدل فيه صلى الله عليه وسلم وفي عشيرته، يقول أبو طالب: [من الطويل]

وَكُنَّا قَدِيما لَا نُقِرُّ ظُلامَةً إِذا مَا ثَنَوْا صُعْرَ الخُدودِ نُقِيمُهَا[٥٥]

فهم لا يقرون الظلم بل يعدلون، ويقيموا وجه من صعّر خدّه متكبرًا، إشارة إلى تواضعهم، ونزولهم على الحق، وإقامة غيرهم عليهم.

- **معنى العفو**

وأشهر الأبيات التي تمثل العفو عندهم بيت كعب بن زهير الذي اشتهر بشهرة قصيدته، يقول:

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالعَفوُ عِندَ رَسولِ اللَّهِ مَأْمُولُ[٥٦]

ومنه قول زهير بن صرد:

إِنَّا نُؤَمِّلُ عَفْوًا مِنْك تُلْبِسُـهُ هَذِي الْبَرِيَّةَ إِذْ تَعْفُو وَتَنْتَصِرُ[٥٧]

---

٥٣ حسان بن ثابت: الديوان: ٤٦٥/١، وفي الديوان برواية الرفع وفيه: نكالٌ لملحد، الحماسة المغربية: ٦١/١

٥٤ العباس بن مرداس: الديوان: ص١٢٢

٥٥ أبو طالب: الديوان، ص١١٣، الحماسة المغربية: ١٠٢/١

٥٦ كعب بن زهير: الديوان، ص١١٤

٥٧ سبق تخريجه، وهو في (الحماسة المغربية: ٩١/١)

فهو إن عفا فعفوه يفيض على البرية جميعاً، ومن عفوه أنه ما خيب ظن آمل في العفو راجيه.

ثم قوله:

فَـاغْفِرْ عَفَـا اللهُ عَمَّـا أَنْـتَ رَاهِبُـه يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ إِذْ يُهْـدَى لَـكَ الظفـر[٥٨]

- **معنى الرحمة**

كما في قول عبد الله بن الزبعرى:

فَـاغْفِرْ فـدى لَـك وَالِـدَايَ كِلَاهُمَـا وَارْحَـمْ فَإِنَّـك راحـمٌ مَرْحُـوم[٥٩]

ومنه قول لبيد فيما نسب إليه:

أَتَيْنَـاك يـاخير الْبَريَّـة كلهَـا لترحمنـا مِمَّـا لَقينَـا مـن الْأَزَل

أَتَيْنَـاك نشـكو خطـةً جـلّ أمرهَـا لسـبع سِـنِين وافـراتٍ علـى كحـل

وقد سبقت هذه الأبيات.

- **معنى البر والوفاء:**

كما في قول أنس بن زنيم الديلي:

٥٨ (الواقدي: المغازي، ٩٥١/٣) (العقد الفريد: ٦/ ١٢٩) (أبو نعيم: معرفة الصحابة، ١٢٢٢/٣) (الاستيعاب: ٥٢١/٢) (الروض الأنف: ٧/ ٣٥٠) (سير أعلام النبلاء: ٢١٩/٢) (الحماسة المغربية: ٩١/١)

٥٩ الحماسة المغربية: ٨٢/١

وَمَــا حملــت مــن ناقــةٍ فَــوق رَحلهَــا أبــر وأوفــى ذمَّــة مــن مُحَمَّــد[٦٠]

- **معنى طيب النسب وعراقة الأصل[٦١]:**

فهو ابن الأكرمين الأطايب على امتداد نسبه، كما قال سواد بن قارب:

وَأَنَّــك أدنــى الْمُرْســلين وَسِــيلَة مِــنَ اللهِ يَابْنَ الأَكْــرَمينَ الأَطَايِبِ [٦٢]

وأبو طالب يُفَصِّل في ذكر عراقة نسبه وطيب أصله:

إذا اجْتمعت يَوْمًا قُرَيْش لمفخرٍ فعبدٌ منــافٍ سِرُّهَــا وَصَمِيمُهَــا

وَإِنْ حَصَّــلْتَ أَشْــرَافَ عبْدَ مَنَافِهَا فَفِي هَاشمٍ أَشْرَافُهَــا وَقَدِيمُهَــا

وَإِنْ فخرت يَوْمًا فَإِن مُحَمَّــدًا هُوَ الْمُصْــطَفى مِنْ سِــرِّهَا وكريمها[٦٣]

---

[٦٠] الواقدي: المغازي، ٧٩٠/٢) (سيرة ابن هشام: ٤٢٤/٢) الحماسة المغربية: ٨٧/١ ((أسد الغابة: ١٠٩/١) البيت منسوب لذباب بن فاتك الضبي في الإصابة نقلا عن المرزباني في معجمه (٣٣٦/٢).

٦١ يدخل في هذا المعنى بيت أبي دهبل الجمحي، إن كان في مدح النبي، قال:

(إن الْبيُوت معادنٌ فنجاره ذهبٌ وكل بيوته ضخم

البيوت مثل المعادن تتفاوت وتتفاضل فيما بينها، ولكن بيته الذي منه خرج إنما أصله ونجره الذهب، وكل بيوته عليه الصلاة والسلام مجتمعة من الأخوال والأعمام عظيمة الشأن رفيعة القدر. وهو من أعلى ما يدل على هذا المعنى.

[٦٢] الحماسة المغربية: ٧٨/١

[٦٣] أبو طالب: الديوان، ص١١٣، الحماسة المغربية: ١٠٢/١

فإن اجتمعت قريش لمفخرة بين عشائرها، فستجد عبد مناف أشرفها، فهم سرها وأوسطها وخالصها، وأوسط الشيء أحلاه، وإن بحثت عن أشراف عبد مناف فلن تلقى إلا هاشمًا، وإن فخرت بنو هاشم بأشرفهم فمحمد أعلاهم شرفًا، وأكرمهم رجلاً.

وقول أبي طالب أيضًا:

فَأَصْـبَحَ فِينَـا أَحَمْـد فِـي أَرُومَـةٍ تُقَصِّـرُ عَنْـهُ سُـورَةُ الْمُتَطَـاوِلِ[٦٤]

فمهما رام أحدهم وتطاول ليصل إلى شرفه فهو أقل من أن يصل إلى منزلته. يقول كعب بن مالك:

نَبِـي لَـهُ فِـي قومـه إِرْث عـزةٍ وأعـراق صـدقٍ هـذبتها أرومهـا[٦٥]

فهو عزيز قومه تمتد عزته بامتداد نسبه، وكأنه إرث يورثونه إياه، وأعراقه أعراق صدق لا أعراق لؤم، قد هذبتها أصولها.

وهو عليه الصلاة والسلام رفيع القدر، عظيم الشأن في العباد، يقول ابن الزبعرى:

وَلَقَـد شـهِدت بِـأَن دينـك صـادقٌ... حـقٌ وَأَنَّـك فِـي الْعبـاد جسـيم[٦٦]

وهو مع علو قدره وعظم شأنه سهل الجانب. يقول أبو عزة الجمحي:

---

٦٤ الحماسة المغربية: ١٠٥/١

٦٥ الديوان: ٢٦٦

٦٦ الحماسة المغربية: ٨٢/١

وَأَنت امرؤٌ بوئت فِينَا مبـــاءةً لَهَــا درجاتٌ سهلةٌ وصعــود[٦٧]

- مدحه بمعجزة القرآن: نزول الوحي والقرآن عليه.

يقول كعب بن مالك:

وَفينَـــا رَسُـــول الله نتبـــع أمـــره إذا قَـــالَ فِينَـــا القَـــوْل لَا نتطلـــع

تـــدلى عَلَيْـــهِ الـــرّوح مـــن عِنْـــد ربـــه ينـــزل مـــن جـــو السَّـــمَاء وَيرْفَـــع[٦٨]

ويقول حسان:

وَجِبْرِيل رَسُول الله فِينَا وروح الْقُدس لَيْسَ لَهُ كفاء[٦٩]

وجبريل عليه السلام رسول من الله لنبيه، ليس له مثل وكفء.

وهذا الوحي له من العظمة ما له، فأمره مطاع إذ هو من عند رب العالمين، يقول سواد بن قارب:

فمرنا بِمَا يَأْتِيك من وَحي رَبنَا وَإِن كَانَ فِيمَا جِئْت شيب الذوائب[٧٠]

حتى وإن كان هذا الأمر مما تشيب له الذوائب.

وما يجيء به محمد إنما هو البرهان والحكم، قال ابن الزبعرى:

فَـــاليومَ آمـــن بعـــدَ قَسْـــوَتِهِ عَظْمِـــي وَآمَـــنَ بَعْـــدَهُ لَحْمِـــي

---

[٦٧] الحماسة المغربية: ١١٥/١

[٦٨] الديوان: ٢٢٤، الحماسة المغربية: ٥٦/١

[٦٩] حسان:الديوان، ص١٨، ورواية الديوان: أمين الله فينا.

[٧٠] الحماسة المغربية: ٧٨/١

بِمُحَمَّــدٍ وَبِمَــا يَجِــيءُ بِــهِ مــنْ سُــنَّةِ الْبُرْهَــانِ وَالْحِكَــمِ[٧١]

فالبرهان والحكم الذي جاء به محمد قد آمن له العظم واللحم في الأجساد.

وهذا البرهان والدليل على نبوته جعلهم يؤمنون به، يقول سراقة بن جعشم:

أَبَــا حَكَــمٍ وَالله لَــو كنــت شَــاهدا لأمــر جــوادي إِذْ تَسُــوخ قوائمــه

علمــت وَلــم أشــكك بِــأَن مُحَمَّــدًا رســولٌ ببرهــان فَمــن ذَا يقاومــه[٧٢]

وقصة سراقة مشهورة.

وفي هذا المعنى يقول لهب بن مالك:

أرى لقومي مَا أرى لنَفْسي

أَن يتبعوا خير نَبِي الْإِنْس

برهانه مثل شُعَاع الشَّمْس

يبْعَث فِي مَكَّة دَار الحمس

بمحكم التَّنْزِيل غير اللّبْس[٧٣]

يقول علي بن أبي طالب:

فجَاء بفرقانٍ من الله منزلٍ مبينةٌ آيَاته لِذَوي الْعقل[٧٤]

---

[٧١] الحماسة المغربية: ٨٢/١

[٧٢] الحماسة المغربية: ٨٤/١

[٧٣] الحماسة المغربية: ٩٦/١

[٧٤] الحماسة المغربية: ٤٢/١

وقول حسان:

رسولٌ نصدق مَا قَالَـــه وَيَتْلُو علينا كتابا منيرا[٧٥]

وقول كعب بن زهير:

مهلا هداك الَّذِي أَعْطَاك نَافِلَة الْقُرْآن فِيهِ مواعيظ وتفصيل[٧٦]

وقول النابغة الجعدي:

أتيت رَسُول الله إِذْ قَامَ بِالْهدى وَيَتْلُو كتابا كالمجرة نيرا[٧٧]

هذه جملة المعاني التي استخلصناها من مديح المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعل أول ما يلفتنا إلى شعر المديح النبوي بصفة عامة هذا الفارق المهم بين شعر المديح فيمن عاصره من الشعراء أو رآه، وبين من لحق به ولم يره. فالنوع الأول يمدح بما رأى وعاين وعلم، وهذا النوع شعره أقرب إلى الواقع والحقيقة، قليل المجاز والخيال، ولم يكن هذا لكونهم رأوا وعاينوا ما لم يعاينه غيرهم، بل لقربهم بعهد الجاهلية وشعره، فكان شعرهم على منواله، وبناءً فوق أساسه، مع حسنٍ وظهورٍ فيما علا.

أما النوع الآخر، وهم الشعراء الذين مدحوا رسول الله ولم يروه، فقد استقوا معانيهم المدحية مما رواه الأولون، ومن كتب السير والتوراريخ، وغيرها مما ذكر من شعرٍ في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان شعرهم إلى ناحية

---

[٧٥] الحماسة المغربية: ٦٢/١

[٧٦] كعب بن زهير: الديوان، ص١١٤

[٧٧] النابغة الجعدي: الديوان، تحقيق: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط١٩٩٨،١م، ص٧٨، الحماسة المغربية: ٩٣/١

من الصنعة الفنية لم تكن في شعر القدماء، أو إلى ناحية من الروحانيات السامية كما كانت في شعر المتصوفة.

والوجه الذي يلفت انتباهتك في نظرتك الثانية فهو ما تلقاه من معانٍ مدحية تكاد تكون واحدة لا تتغير، متشابهة إلى حدٍّ بعيد، يتفق الشعراء على المعنى الواحد فيه صلى الله عليه وسلم، فيقيموا عليه مدحهم، ولا نكاد نجد خلافًا بينهم في أحد هذه المعاني إلا ندرًا قليلاً، وهو إن وُجد لم يكن لأنهم مختلفون على هذه المعاني فيه، بل الاتفاق حاصل من كلّ ذي لُبٍّ فطِن، ولكنه تفاوت البشر الطبيعي، واختلاف الإبداع الشعري فيهم، وقدرة الواحد منهم على التعبير بما لم يعبر به صاحبه، أو لِوقوف الواحد منهم على ما يرى معاينة في موقف عرض له، يقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في مدحه صلى الله عليه وسلم: (من البسيط)

إِنِّـــي تَفَرَّسْـــتُ فِيـــكَ الْخَيْـــرَ أَعْرِفُـــهُ وَاللهُ يَعْلَـــمُ أَنْ مَـــا خَـــائِنِي الْبَصَـــر[٧٨]

ثمة وجه آخر غلب على هذا النوع من الشـــعر من الناحية الموضوعية، أنها دائما ما تذكر الغيّ والضلال فيما كانوا عليه، وما لحقهم من الهدى والرشاد بإسلامهم، واتباع نبيهم (ممدوحهم).

أما بالنسبة للمدوح فلم نجدهم يمدحونه بوصف حسيٍّ إلا قليلا، وهذا القليل الحسي مردود إلى المعنوي المتمثل في الكرم، والشجاعة، والقوة، والهدى، والإخلاص، والوفاء، والحياء، والتسامح، والرحمة، والعزة، والقدرة، والخيرية.

[٧٨] عبد الله بن رواحة: ديوانه، ص١٥٩. الجرّاوي: الحماسة المغربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩١م، ٤٩/١

وقد تعددت قيم المدح في الجاهلية، وظهرت القيم نفسها في الإسلام بما يقره منها، بل ظهرت قيم أخرى جديدة لم تكن في الجاهلية والتي يمكن أن نسميها القيم الدينية. فمما كان في الجاهلية ووافق الإسلام قيمة الكرم، ولكنها قيمة اختلف في تناولها من شاعر إلى آخر في الجاهلية فمنهم من عمق معانيها، ومنهم من تعرض لها على عجل مثلها مثل غيرها، وقد ظهر لها معنى آخر في المدحة النبوية تمثل في كرمه بالجود على المعتذر، كما كان عند أنس بن زنيم الذي ربط بين القدرة والكرم. وكذلك قيمة الشجاعة التي وافقت معانيها المعاني الجاهلية، فكان الممدوح الشجاع هو من لديه "القدرة على النفاذ في المعضلات، والقدرة على اختراق الكتيبة الخرساء، والنفاذ في دروع الأبطال"[٧٩]، وهذه المعاني لا تختلف كثيرًا عما تضمنته الشجاعة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. ومما كان في الجاهلية ولم يختف في الإسلام مع تغاير المعاني –المدح بالزعامة، ولكن صورة الزعيم هنا غير صورته في الجاهلية، فهو في الجاهلية حامي الذمار، وهو سيد القوم،... وهي زعامة تجبر وتسلط ونفوذ. وأما النبي فهو الزعيم في الدنيا والآخرة، والإمام، وجامع الشمل، الذي يفدى، وهو المنتظر، وزعامته زعامة شورى.

وقد تكون قيمة المدح الجاهلية مغايرة تماما لقيمة المدح الإسلامية، بحيث لا توجد هذه القيمة بمعانيها الجاهلية في المدحة النبوية، بل يوجد العكس منها... ومثال ذلك المدح بالقوة في الجاهلية، وتتضمن أن الممدوح يستطيع "أن يرفع ويضع في أقدار الناس، وأن يثكل كرائم النساء، وأن يجيش

[٧٩] السعيد حامد شوارب: المدح في الشعر الجاهلي، مجموعة أجيال لخدمات التسويق والنشر،القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨م. ص٢٣١، وص٢٣٢

الجيوش، وأنّ وجوده أمان لقومه"[٨٠] وهذه المعاني تخالف ما أتى به الإسلام، بل لا تكون عند الأسوياء معاني مدح، بل ذم وهجاء، سوى الأخير منها. لذا رأينا عكس هذه المعاني في مدح النبي بلسان عمه:

وَأَبْـيَضَ يُسْتَسْـقَى الْغَمَـامُ بِوَجْهِـهِ ثِمَـالَ الْيَتَـامَى عِصْـمَةً لِلأَرامِـلِ[٨١]

ومن قيم المدح التي وجدناها في شعرهم المدح بهداية الناس، وعبر عنها بالمعاني الفرعية أو لنقل أدواتها من النور والضياء. ومنها التمكين وقد شمل معاني إظهار الدين، والقدرة على المفسدين. والزعامة التي تنوعت بين زعامة الحق أو الاتباع، وزعامة الجيوش التي استخدم لها الشاعر أداة من أدوات الزعامة، وهي اللواء. وزعامة الجنان التي لا تكون إلا في الآخرة، وفيها الإمامة، وقد عبر بها مرة واحدة. ويدخل تحت هذه القيمة معنى الفداء، فالفداء لا يكون إلا للزعيم. وضمن هذه القيمة فقد تناول الشعراء قيمة جمع الشمل فلا يجمع الشمل إلا الزعيم.

ونجد من قيم المدح قيمة الشجاعة واشتملت على الفروسية، وانكسار الأعداء، ومدح الأتباع ومن ثم مدح قائدهم بمدحهم.

ومن القيم الكبرى قيمة الشفاعة وعبّر عنها الشعراء بأنه أقرب المرسلين شفاعة، وأنه هو الشفيع وحده، وأن المحروم من شفاعته خاسر، وأن الصلاة عليه سبب في شفاعته.

---

[٨٠] السابق نفسه: الصفحات ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١

[٨١] أبو طالب: الديوان، ص٧٥، الحماسة المغربية (١/ ١٠٤)

أما معنى الخيرية فقد اشتمل على معاني أنه صلى الله عليه وسلم ليس كالبشر، فلم تلد النساء مثله، ولا ترى ولا تسمع بمثله، وانه خير من وطئ التراب، وخير مأتي، وخير من حملت الدواب.

ويدخل تحت هذا المعنى معنى الاصطفاء، وهو من المعاني الإسلامية المحضة.

ومن معاني المدح معنى الكرم يشبهون كرمه بالبحر الفياض، وأن عطاءه لا يكون كفاية فقط بل يكون وافرًا زائدًا، وأنه يعطي قبل سؤال السائل، فيشعر بالسائل قبل سؤاله. وأن عطاءه ممدود غير مقطوع أبدًا. ومن معاني الكرم في شعرهم أنهم يقرنونه بالقدرة، أو بالجود بالنفس كما ذكرنا من قبل.

ومن المعاني معنى الصدق وعبروا به أنه في أصوله مجبول عليه غير مكتسب، وأن صدقه المعروف عنه كان سببًا في تصديقهم إياه، وأن صدقه معروف عند الجميع.

ومن قيم المدح معنى العفو وأن عفوه عفو يفيض على البشرية. ومنها العدل يقيم به المعوج، ومنها الرحمة التي لا تكون في الدنيا إلا له.

ومن معانيه طيب الأصل وعراقة النسب، وعبر الشعراء عن ذلك بأن قريش أفضل العرب، وأن أفضلها عبد مناف، وأفضلها بنو هاشم، ومحمد أفضل بني هاشم.

وعبروا عن معاني العزة ورفعة القدر، وأنه مع عظم قدره سهل الجانب، لا صعبه يُمنع منه طالبوه.

المبحث الثاني: المثير والتعبير

أولا: العلاقة بين الدافع والشاعر:

تعدّ قضية المثير أو الدافع من القضايا القديمة التي تعرض لها النقاد العرب، وقد أسموها بـ "دواعي الشعر، قال ابن رشيق: "مع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد، والعتاب الموجع"[٨٢] وكلامه لا شك فيه أن المثير هو الذي يحدد الغرض، ومن ثم يكون التعبير. وكذلك فإن مثير المدح كما حدده ابن رشيق يكون في الرغبة، والرغبة لم تكن إلا للمادحين طلبًا للعطية. وهنا في مدائح النبي وجدنا أنواعًا مختلفة من الدوافع، فمنهم من مدح للحب، أو ما يمكن أن نقول عنه للعبادة، ومنهم من مدح ودافعُه الخوف من العقاب، ومنهم من مدح ودافعه الخوف على الرسول، ومنهم من مدح طلبًا للعطية.

يتضح لنا من قراءتنا لأبيات المديح النبوي في هذه المرحلة أن المثير الذي يظهر فيها إما أن يكون مثيرًا خارجيًا، وإما أن يكون مثيرًا داخليًا أو ما يمكن أن نسميه المثير النفسي. أما المثير الخارجي فهو هذا الذي يتعلق بالشعر إثر موقف خارجي يكون على أساسه نظم الشعر، من خلال المواقف المعاينة والحوادث المشاهدة، ومن هذه المثيرات الخارجية الشعر الذي قيل في الرد على المشركين ومدح المسلمين عامة، أو الشعر الذي ينطق به الشعراء بعد الغزوات والحروب... والمثير الداخلي ما كان موقده الحب، أو الكره، أو الحقد، أو الود،... وغير ذلك من الانفعالات النفسية المختلفة، يحيث يكون الانفعال نفسه هو الدافع الأساسي للقصيد.

---

[٨٢] العمدة: ١/١٢٠

إن هذه القسمة للمدائح التي اختصت برسول الله صلى الله عليه وسلم، تدل على أن المثير لا يثبت على حال، بل يكون المثير الواحد موجهًا للعمل الأدبي، والتعبير الفني توجيهات عدة، فيخرج للمثير الواحد تعبيرات متغيرة، فنرى الخوف قد يكون مثيرًا للاستعطاف كما في شعر أبي طالب وهو يستعطف قومه، لكنه خوف على ابن أخيه. والخوف نفسه قد يكون مثيرًا للاعتذار ومن ثم مدح المعتذَر إليه إذا كان خوفًا من عقابه، كما كان عند كعب بن زهير، وغيره ممن أهدرت دماؤهم بهجاء رسول الله.

وهذه الحال من تغير التعبير للمثير الواحد أشار إليها القرطاجني في قوله: " يحب على من أراد جودة التصرف في المعاني... أن يعرف أن للشعراء أغراضا أُول هي الباعثة على قول الشعر. وهي أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس, لكون تلك الأمور مما يناسبها ويبسطها أو ينافرها ويقبضها أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين. فالأمر قد (يبسط) النفس ويؤنسها بالمسرة والرجاء ويقبضها بالكآبة والخوف. وقد يبسطها أيضاً بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع. وقد يقبضها ويوحشها بصيرورة الأمر من مبدأ سار إلى مآل غير سار..."[٨٣].

وهذه العملية التي تدور رحاها بين الدافع والانفعال والإبداع قد شغلت الكثيرين من النقاد، وخاصة من تناولوا الجانب النفسي، أو ادَّعوه. وقد توقفت أعمالهم في هذا الجانب على دراسة الانفعالات المختلفة أو المثيرات المتعددة، أو تحليل شخصيات الشعراء، ورد ما هم فيه إلى عدد من العقد النفسية التي لم نجد بدًّا من التأويل والمغالاة والتلبيس في نسبة الشاعر إلى العقدة، وليس

[٨٣] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخواجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص١١

نسبة العقدة إليه. قلنا: إن هذه العملية قد توقفت عند الانفعال، ولم يركز النقاد على ظهور هذا الأثر الانفعالي بفعل مثير ما في إبداعهم الكتابي تكوينيًا.

إذن فالمثير الخارجي ما كان بفعل الحوادث والوقائع التي شهدها آخرون غير الشاعر، لكنها أجادت قريحة الشاعر وحده، والداخلي ما كان من مثير اختص به الشاعر وحده دون غيره. وقد يجتمع في القصيدة المثيران الخارجي والداخلي، فيندمجان في انفعال واحد يعبر عنه الشاعر في شعره.

ومن النظر في هذه المقطعات المدحية أمكن لنا أيضًا أن نقسم شعراء المديح ممن عاصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أقسام:

القسم الأول: شعراء ذوو خلفية ثقافية أو عقدية:

وهم على نوعين: أصحاب الخلفية الدينية، وأصحاب الخلفية الفكرية.

أما النوع الأول فهم الذين آمنوا بإحدى الديانات السماوية قبل الإسلام، من الحنيفية أو اليهودية أو النصرانية، ومن هؤلاء: ورقة بن نوفل، وأبو قيس صرمة بن أبي أنس الأنصاري...

والنوع الآخر من هذا القسم هم أصحاب الخلفية الفكرية المعينة، مثل الشعراء الكهان، ومنهم: سواد بن قارب...

القسم الثاني: الشعراء الأصحاب، وهم الذين آمنوا بالنبي وصدَّقوا رسالته، ومدحوه عن عقيدة وإيمان، إما بردٍّ على المشركين، وإما بمدح أنشئ لمدحه خاصة. وهؤلاء هم عامة الصحابة أمثال: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة...

القسم الثالث: الشعراء المعتذرون، وهم الذين كانوا على الكفر، وآذوا النبي صلى الله عليه وسلم بشعرهم، ثم عادوا معتذرين، ومنهم: عبد الله بن الزبعرى، وأنس بن زنيم، وكعب بن زهير، وزهير بن صرد الذي اعتذر عن قومه، وأبو عزة الجمحي[٨٤]...

القسم الرابع: وهم الشعراء الأقارب، وقد أفردتهم بقسم مستقل لسبب أنهم لم يكونوا على الإيمان، أو منعهم الكبر وخوف عشيرتهم من أن يؤمنوا، ومنهم: عمه أبو طالب... ويمكن أن يدخل في هذا النوع عمته عاتكة بنت عبد المطلب التي أسلمت بعد غزوة بدر، فشعرها هنا في خبر هذه الغزوة، وابن عمه طالب بن أبي طالب الذي انقطع خبره بعد شهود بدر مع المشركين مكرهًا...

القسم الخامس: الشعراء المادحون طلبًا للعطية أو من المؤلفة قلوبهم. ومنهم أعشى قيس، ومَن كان من المؤلفة قلوبهم كمالك بن عوف، أو العباس بن مرداس....

ومن النظر في كل نوع من الأنواع السابقة نرى أن الدافع يختلف باختلاف فئة الشعراء، فقصيدة الأصحاب قد تناولت مدح النبي صلى الله عليه وسلم في معرض الرد على المشركين، والافتخار بنصر الله عز وجل، وإذلال المشركين، وهي تنبئ عن عقيدة ثابتة، وحب خالص للنبي غير مشوب بغرض من أغراض الدنيا، فشعرهم يراد به التقرب إلى وجه الله تعالى، ومن

---

[٨٤] يختلف أبو عزة الجمحي عن غيره من المعتذرين، وهو أنه لم يدخل الإسلام، ولكنه عاهده على ألا يعين عليه بالشعر، أما غيره فقد دخلوا الإسلام. (انظر: طبقات فحول الشعراء: ١/٢٥٤)

ثم كان الدافع الأساس في مدحهم النبي من باب حب الله ورسوله، ومن باب عقيدتهم في ذلك.

وأما شعر الأحناف وأصحاب الخلفيات الدينية فقد كان من خلال الموقف المعاين، وموافقة الدليل، أو موافقة الواقع الحاصل مع العلم السابق، فيحصل بذلك الدليل الدامغ على صدق النبي وصحة دعوته، فكان حصول الموافقة لما سبق من علم هو الدافع الرئيس في التعبير عن مظاهر هذه الموافقة التي تمثلت في المعاني المدحية لرسول الله. نجد مثالًا واضحًا على ذلك ورقة بن نوفل أحد الأحناف في الجاهلية، فإنه بعلمه السابق –من خلال إيمانه بدين إبراهيم– الذي يعتقد فيه ببعثة نبي آخر الزمان، قد وافق البعثة فعلاً، وشهدت على ذلك دلائل نبوته، فلما وافقت الحوادث هذا العلم وهذه المعرفة تأكَّد عنده صحة معتقده، فدُفع إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم. ومثله في ذلك أبو قيس صرمة بن أبي أنس أحد الأحناف في مدينة رسول الله، وقد وافق كذلك معتقده السابق دعوة النبي، فكانت الموافقة دليلاً، وكان الدليل مثيرًا تعبيريًّا.

يدخل في هذا الصنف من كان من الشعراء ذوي خلفية كهنية، فإن الموافقة قد حصلت بين علمهم السابق من رئيهم من الجن والواقع الحاصل، فكانت هذه الموافقة هي الدليل على صحة الواقع، ومن ثم الدافع للتعبير، كما كان عند سواد بن قارب. ومثله ما كان من خوارق العادات التي وافقت هذا الواقع كتكليم الذئب عند رافع بن عميرة.

والنوع الثالث من هؤلاء الشعراء، وهو نوع المعتذرين، أمثال كعب بن زهير، وأنس بن زنيم، وزهير بن صرد، وعبد الله بن الزبعرى... وهؤلاء قد

مدحوا النبي بدافع الخوف من العقاب، سواء أكان العقاب حاصلاً لهم، أم لأقوامهم.

أما النوع الرابع وهم الأقارب أمثال أبي طالب بن عبد المطلب، وابنه طالب بن أبي طالب، وعاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء جميعًا قد مدحوا النبي من وجهتين؛ الأولى: المدح الحق لعلمهم بما كان من خصال ابنهم، التي عرفها القاصي والداني، والأخرى: المدح للتذكير، فأرادوا تذكير قومهم بهذه الخصال التي تناسوها لما ظهر أمر الدعوة؛ خوفًا منهم على النبي صلى الله عليه وسلم، وخوفًا كذلك على قومهم لما هُزموا الكَرّة بعد الكرة. فالمثير عندهم تنازعه الحب والخوف، وكل واحد من المثيرين قد تعلق بطرفي الخصومة، فالحب الشديد لابنهم يضاهيه حب آخر لأقوامهم من الإخوان، والصحب، وذوي القرابة. وكذلك الخوف الشديد على ابنهم أن يمسه سوء أو مكروه يوازيه خوف آخر على قومهم فينكسروا ثانية، ويفقدوا أعزة أهلهم مثلما حدث في غزوة بدر.

وفي النوع الأخير من هذه القسمة نجد طالبي العطية، والمؤلفة قلوبهم، وهؤلاء قد توزعوا أيضًا على قسمين؛ الأول من مدح طلبًا للعطاء كأعشى بني قيس إن صحت نسبة القصيدة إليه، والآخر من مدح طلبًا للعطاء باعتباره حقًّا لازمًا، كالعباس بن مرداس، الذي رأى أنه أولى بالعطاء لموقف قومه بني سليم في نصرة النبي. فكان دافعهم جميعًا دافعًا ماديًّا لأجل المال، أو أن يلاقي من أسهم الغُنْم فوق ما يلاقيه غيره.

ويمكن أن نلحق بهذه الدوافع ما كان من عمرو بن سالم الخزاعي، الذي هرع إلى النبي يستنصره لما نقضت قريش عهدها، فالدافع هنا هو الاستنصار.

من خلال ما سبق أمكننا أن نلخص المثير وفق الشعراء إلى:

١. دافع الحب والفداء كما في شعر الأصحاب، ويمكن أن نسميها قصيدة المدح للمدح.

٢. ودافع الخوف والرجاء كما في قصيدة المعتذرين.

٣. ودافع الخوف على النبي والاستعطاف كما في قصيدة الأقارب.

٤. ودافع صحة الدليل وموافقة العلم السابق للواقع.

٥. ودافع الرغبة في العطية كما في قصيدة الأعشى والمؤلفة قلوبهم.

٦. ودافع الاستنصار كما في قصيدة عمرو بن سالم الخزاعي.

والملحوظ على هذه الدوافع أنها جميعها لم تكن خالصة للمدح، بل تنوعت أفكارها ومعانيها، وضمنت المعاني المدحية في أثنائها، حتى إننا لنجد المعاني المدحية مختلفة في كثير منها بحسب النوع الذي ضمنت فيه، كما سنبين فيما يأتي.

والمتتبع لهذه الدوافع يجد أنها قد تنوعت بتنوع الظروف والملابسات التي أحاطت بها؛ سواء كانت عقدية، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو اقتصادية، أو سياسية. فالملابسات العقدية هي التي ركزت قيم المدح عند الأصحاب في معاني خاصة لم توجد عند غيرهم بمعناها الذي فهموه منها، وعلموا كنهها، من النور والهدى، والتمكين، وتنزل الوحي، والملجأ للمشورة فيما عسر عليهم. والظروف الاجتماعية هي التي وجهت شعر الأقارب ناحية معاني المحبة، وطيب الأصل، والخيرية، والملجأ لمن لحقه الضرّ. وكذلك كانت الظروف الثقافية موجهة لشعراء الخلفية الدينية والكهنية وأصحاب المواقف المعاينة في تخير المعاني التي سمعوا بها ووافقت الواقع، بل وجهت نوع الشعر في سلوكه

مسلك السرد القصصي. أما الظروف الاقتصادية فقد ظهرت في تركيز طائفة الشعراء طالبي العطية، والمؤلفة قلوبهم على بعض المعاني التي من أبرزها معنى الكرم، وما يمكن أن يندرج تحته مما ألفوه في معاني ممدوحيهم ذوي العطايا من الزعامة، والشجاعة، والملجأ لدفع الضر أو الأمن به. حتى إن الظرف السياسي قد ظهر أيضًا في نقض معاهدة النبي مع قريش، لما أغارت قريش على خزاعة، فلقينا استنصار عمرو بن سالم بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وكل هذه الظروف والملابسات هي في نفسها مثيرات للتعبير، وهي كذلك مثيرات خارجية أحاطت بالشعراء فأثارت دوافعهم الداخلية وانفعالاتهم، مما يجعلنا نطلق عليها مثير المثير.

ومما يلحظ هنا أيضًا على هذه الدوافع، ما أسميه "تلاقي المثير"، وذلك أن الدافع قد يتحد في مبدئه، ويختلف باختلاف الغرض منه، فتشترك الدوافع أحيانًا بين أكثر من فئة، وتختلف مراميها، فدافع الحب مثلاً يشترك بين الصحب والأقارب، غير أنه في الصحب يصدر عن عقيدة ثابتة، ويقين بالنصر، وفي الأقارب منزعه إلى العاطفة الفطرية، وحاله مذبذب بين الشك واليقين. ودافع الخوف موزع بين الأقارب والمعتذرين، ولكن صورته عند الأقارب خوف على النبي، وعند المعتذرين خوف من عقابه. والخوف عند الأقارب خوف ذو جهتين من النبي وعليه، ومن قومه وعليهم، وعند المعتذرين خوف احتواء كلّي، من النبي صلى الله عليه وسلم فقط.

ثانياً: الدافع والمعاني المدحية (المعاني المدحية بالنظر إلى دافع القصيد):

من النظر في المعاني المدحية التي استخلصها البحث نجد أن منها ما يعم الممدوحين، ومنها ما يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم، لكن توظيف الشعراء لهذه المعاني العامة قد اختلف باختلاف الدافع الذي أنشئت من أجله القصيدة، وباختلاف الموقف الذي قيلت فيه.

ودافع الحب عند الشعراء الأصحاب قد ترجم في جانب موضوعي ظهر في مدح المسلمين عامة، ومدح الرسول خاصة، والفخر بنصر الله، والرد على المشركين.

ومن معانيهم التي عبروا عنها في هذه الجوانب الموضوعية معنى الهداية، التي تمثلت في النور أو الضياء، فرأينا التعبير بمدح المسلمين ومدح زعيمهم يكشف لنا هذا الجانب من الهداية التي صاروا إليها، ومثل ذلك في الفخر بنصر الله وإذلال المشركين، وكذلك في الرد على المشركين. فالنور والضياء من المعاني الخاصة التي ألبسها الإسلام طابعًا خاصًا من الدلالة التي لم نجد توجه الشعراء لها من قبل[٨٥]. وأنهم كانوا يقصدون بالنور المعنى الأعمق من الهداية والرشاد.

وقد استأثر شعر هذه الفئة ببعض المعاني التي جاءت من دافع المعتقد الإسلامي، وهي التمكين، والرجاء، والخضوع، والتسليم، والشورى، والزعامة. وأما ما ورد من هذه المعاني في شعر غير هذه الطائفة فيُحمل

---

[٨٥] فإنهم كانوا يمدحون فيما قبل بالشمس، كقول النابغة:

فَإِنَّكَ شَمسٌ وَالمُلوكُ كَواكِبٌ إِذا طَلَعَت لَم يَبدُ مِنهُنَّ كَوكَبُ (انظر: النابغة الذبياني: الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ص٧٤) وقوله متغزلاً: بَيضاءُ كَالشَمسِ وافَت يَومَ أَسعَدِها لَم تُؤذِ أَهلاً وَلَم تُفحِش عَلى جارِ (الديوان: ص٢٠٢)

على دلالة أخرى مثل: الرجاء الذي جاء في شعر المعتذرين فإنه يراد به رجاء العفو، وليس الرجاء الذي هو شق الخوف في هذا المثنى المعتقدي المراد به أن يعبد الله على الخوف والرجاء، وكذلك في شعر ابن مرداس (ما يرتجون... إلا لطاعة ربهم وهواكا) فلم يقصد إلا عامة المسلمين، ومن بينهم قومه بنو سليم. ومثل ذلك الزعامة وقد أتى مرة في شعر العباس بن مرداس، وأخرى في شعر الأحناف عند ورقة بن نوفل، ولكن عند العباس أريد به الشجاعة، وهي شجاعة الحروب في قوله: (يقدمها الهمام الأشوس)، أما ورقة فمعناه يوافق معنى الأصحاب، ولا سيما أنهما يصدران عن المعتقد نفسه.

أما مثير الخوف –كما سبق– فقد كان في نوعين؛ الأول: في الخوف من العقاب، والثاني: في الخوف على النبي صلى الله عليه وسلم. والنوع الأول يمثل قصيدة المعتذرين الذي خافوا من عقاب رسول الله، فسارعوا إلى الإسلام ومدحه صلى الله عليه وسلم، ويدخل في هذا النوع كعب بن زهير، وأنس بن زنيم، وعبد الله بن الزبعرى، وزهير بن صرد، وأبو عزة الجمحي.

ومن المعاني المدحية التي غلبت على قصيدة الاعتذار وسارت فيها بما يشكل من خلالها وحدة لهذه القصيدة معاني العفو، والكرم، أو العفو بعد قدرة وتمكين وهو نفسه كرم، لكنه ليس ككرم سعة اليد، بل الجود على المعتذر بما يكفل حياته، ويرسخ من أمنه وأمانه. والمعنى الرئيس الذي تقوم عليه الاعتذارية هنا هو معنى العفو، وما يحمله هذا المعنى من معاني فرعية من الملجأ، والملاذ، والأمان، والقدرة، والبر، والوفاء بالوعد؛ فضلاً عن معاني الشجاعة، الخيرية، والمعجزة، والمحبة، وطيب الأصل.

أما النوع الآخر فقد تمثل في الشعراء الأقارب الذين خافوا على النبي كعمه أبي طالب، وهو ما كان الدافع فيه الاستعطاف، أي أن الدافع هنا

خوف ممزوج بالاستعطاف. وفيه معاني المدح التي اتصف بها النبي قبل الإسلام، واشتهر بها بين قومه، مع التذكير بها حتى يرجع المشركون عن عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم.

والنوع الآخر من الخوف فكان من الذين لاموا المشركين على ما حدث في بدر، بل سارعوا برثاء أهل القليب كما كان من طالب بن أبي طالب في قتلى بدر، وقد كان خوفهم على النبي ممزوجًا بحبهم لقومهم من قريش.

وطالب بن أبي طالب تصحبه حالة من التضارب النفسي بين حبه لمن قتل من قومه الذين كانوا له الإخوة، وبين حبه لابن عمه رسول الله الذي مدحه بأبياته في قصيدته هذه، وهو مع ذلك يذكر أن ما وقع من هزيمة قريش كان من الخزرج، وفي الوقت نفسه يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكأنه يريد أن يقول إن انتقمتم وأعدتم الكرة، فليكن انتقامكم من الخزرج.

ويتمثل هذا التخبط النفسي واضحًا بين الأبيات في أول قصيدته والبيت الأخير منها، ففي الأول يدعو إلى السلم، وفي الأخير يدعو إلى الحرب. يقول:

أَلَا إِنَّ عَيْنِي أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا سَكْبًا... تُبَكِّي عَلَى كَعْبٍ وَمَا إِنْ تَرَى كَعْبَا

فَيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شمس ونوفلا... فدى لَكُمَا لَا تَبْعَثُوا بَيْنَنَا حَرْبَا [٨٦]

والبيت الأخير:

فو الله لَا تَنْفَكُّ نَفْسِي حَزِينَةً... تَمَلْمُلُ حَتَّى تَصْدُقُوا الْخَزْرَجَ الضَّرْبَا [٨٧]

---

[٨٦] سيرة ابن هشام ت السقا (٢/ ٢٦)

٨٧ سيرة ابن هشام ت السقا (٢/ ٢٧)

والمعاني المدحية التي غلبت على هذا النوع كانت من وصف النبي بمكارم الأخلاق التي عاينوها في الجاهلية، فمدحوه بالكرم، كما كان في شعر طالب: (يؤمون نهرًا لا نزورًا ولا صربا...) أو مدحه بالشجاعة يوم اللقاء كما كان عند عاتكة، وكأنها أرادت أن تبلغ رسالة لقومها: كفاكم حربًا وقد رأيتم ما فعل بكم.

أما قصيدة الرغبة في العطية فقد حملت في أغلبها من المعاني ما تحمله غيرها من قصائد الممدوحين بصفة عامة، مع ذكر ما انتشر من خصال الممدوح بين الناس عامة مسلمهم وكافرهم فيما بعد ظهور الإسلام.

وهكذا كان كل دافع من الدوافع التي تقبع في بواطن الشعراء له ما يدعمه من المعاني التي تناسب هذا الدافع أو ذاك.

الدوافع الخاصة والمعاني:

لعل الدوافع الخاصـــة التي ظهرت عند كل طائفة من هذه الطوائف كانت أحد أهم الأســـباب في تحديد قيم المدح عند كل واحد منهم، وما يقره الباحثون أن هذه المثل وتلك القيم قد تغيرت بتغير المجتمع، فظهور الإسلام وحده كان كفيلاً بتبديل هذه القيم، أو صـــقلها بطابع منه. "فنحن نرى كيف تغيرت المثل والقيم في فخر حســـان الإســـلامي، وإن كان قد بقي من قيم الجاهلية ما استبقاه الإسلام..."[٨٨]

كذلك فإننا وجدنا من الدوافع الخاصة بفئة معينة سبيلاً لطبع هذه المعاني بطابع معين يناسب هذا الدافع الخاص، فنجد مثلاً أن من المثيرات الخاصة التي اختصت بها طائفة الشعراء الأصحاب، دافع العقيدة الإسلامية،

٨٨ محمود علي مكي: المدائح النبوية، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩١م، ص١٩.

فهؤلاء الشعراء كانوا يمدحون النبي عن عقيدة ثابتة ارتكزت على أسس واضحة من الدين الإسلامي، ومن هذه الأسس العقدية، التي صارت في شعرهم معاني مدحية إسلامية:

- التمكين، الذي ظهر في شعر عمر بن الخطاب وفي الشعر المنسوب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. يقول عمر:

وَأمكنـــهُ مـــن أهـــل مَكَّـــة بَعْـــدَمَا تـــداعوا إِلَـــى أمـــرٍ مـــن الغـــي فَاســـد

فأمســـى رَسُـــول الله قـــد عـــز نَصـــره وَأمســـى عـــداهُ مـــن قتيـــلٍ وشـــارد[٨٩]

وهذا علي بن أبي طالب يشير إلى المعنى نفسه:

وَأمكـــن مِـــنْهُم يَـــوْم بـــدرٍ رَسُـــوله وقومـــاً غضـــاباً فعلهـــم أحســـن الْفِعْـــل[٩٠]

- ومنها الرجاء والحب:

فمنه قول كعب بن مالك:

لأَنـــا عَبـــدنَا الله لـــم نـــرج غَيـــره رَجَـــاء الْجنـــان إِذْ أَتَانَـــا زعيمهـــا[٩١]

---

٨٩ زهر الآداب وثمر الألباب (١/ ٧٤) الحماسة المغربية: ٤٣/١

[٩٠] (سيرة ابن هشام: ١١/٢) (الروض الأنف: ٥/ ٢٣٠) (أبو ذر الخشني: الإملاء المختصر في شرح غريب السير، ص١٧٨) (الحماسة المغربية: ٤٢/١) وللعباس بن مرداس في المعنى نفسه ما قاله يوم الفتح:

اللَّهُ مَكَّنَهُ لَهُ وَأَذَلَّهُ... حُكْمُ السُّيُوفِ لَنَا وَجَدٌّ مزحم (سيرة ابن هشام: ٢/ ٤٢٦)

[٩١] الديوان: ٢٦٦، (سيرة ابن هشام: ٢٥/٢) (الروض الأنف: ٢٤٦/٥) (الحماسة المغربية: ٥١/١

أو كقول العباس بن مرداس:

مـــا يرتجـــون مـــن الْقَرِيـــب قرَابَـــة إِلَّا لطاعـــــة رَبهـــم وهواكـــا[٩٢]

- ومنه الاتِّباع:

كما في قول كعب:

وَفينَـــا رَسُـــول الله نتبـــع أمـــره إِذا قَـــالَ فِينَـــا القَـــوْل لَا نتطلـــع[٩٣]

- ومنه الخضوع والتسليم:

كما في قول كعب بن مالك:

وَفينَـــا رَسُـــول الله نتبـــع أمـــره إِذا قَـــالَ فِينَـــا القَـــوْل لَا نتطلـــع

نشـــاوره فِي مَـــا نُرِيد فقصرنـــا إِذا مَـــا اشْتهى أَنـــا نطيـــع ونسمع [٩٤]

- أساس الشورى:

ومن المعروف أن الشورى من عقيدة المسلمين الثابتة، فكان مدح النبي بأنه المشاور من هذه الأسس العقدية في المثير العقدي، يقول كعب بن مالك في البيت السابق:

---

[٩٢] الديوان: ص١٢٣، (سيرة ابن هشام: ٤٦١/٢) (المبرد: الكامل في اللغة والأدب: ١٦/٣) (الاستيعاب: ٨١٩/٢) (الروض الأنف: ٣٠٧/٧) (إمتاع الأسماع: ٣٦٥/١)، (الحماسة المغربية: ٦٥/١)

[٩٣] الديوان: ٢٢٤، الحماسة المغربية: ٥٦/١

[٩٤] الديوان: ٢٢٤، الحماسة المغربية: ٥٦/١

نشــاوره فِــي مَــا نُرِيــد فَقَصْــرُنا إذا مَــا اشْــتهى أَنــا نطيــع ونســمع[٩٥]

ويقول العباس بن مرداس:

وكُنّــا له دون الجنــود بِطــانَـةً يُشــاوِرُنــا في أمــرِه ونُشــاوِرُه (٩٦)

- الشفاعة والوسيلة:

الشفاعة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم: وأحاديث الشفاعة كثيرة تثبت هذا المعتقد وأنه مما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم:

كما في البيت المنسوب إلى لبيد بن أبي ربيعة:

لَنَــا مِنْــكَ فِــي يَــوْمِ الْحِسَــابِ شَــفَاعَةٌ تُفَــرِّجُ عَنَّــا وَالشَّــفَاعَةُ فِــي الْأَهْــلِ

وَلَــــيْسَ لنــــا إِلَّا إِلَيْــــكَ فِرارُنَــــا وَأَيْــنَ فِــرَارُ النَّــاسِ إِلَّا إِلَــى الرُّسُــلِ[٩٧]

---

[٩٥] الديوان: ٢٢٤، الحماسة المغربية: ٥٦/١

[٩٦] الديوان، ص٨٣

[٩٧] هذه الأبيات في ديوان لبيد من غير رواية السكري ما عدا البيتين الأخيرين، انظر الديوان، تحقيق: إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م، ونسبتها في دلائل النبوة للبيهقي لأعرابي أتى النبي صلى الله عليه وسلم (١٤١/٦)، وكذلك في شرف المصطفى (٥٢٢/٣)، والماوردي: أعلام النبوة،، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ، (ص١٣٠). وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٤٤٠/٩)، وبعضها في إمتاع الأسماع للبيد (١٢/ ٧٤-٧٥)، والبعض لأعرابي (١٢٦/٥). وللبيد في الحماسة المغربية: ١١١/١، وفي الإصابة: ٥٠٢/٥.

فهو هنا يتمثل حديث الشفاعة أنهم يأتونه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فيطلبون شفاعته بعد أن طلبوا من سائر الرسل...[٩٨]

أو قول عبد الله بن رواحة:

أَنْــت النَّبِــيُ وَمَــنْ يُحْــرَمْ شَــفَاعَتَهُ يَــوْمَ الْحِسَــابِ فَقَــدْ أَزْرَى بِــهِ الْقَــدَرُ[٩٩]

وفي قول سواد بن قارب:

وَأَنَّــكَ أدنَــى الْمُرْسَــلين وَسِــيلَة مِــنَ اللهِ يَابْنَ الأَكْـرمينَ الأطَايب[١٠٠]

ومن المثير الخاص دافع القصيد بفاعل الموافقة لمعتقد الشاعر السالف:

فما كان من شعر أصحاب الخلفية الدينية (من هم على الحنيفية) كان الدافع الخاص فيه معتقدهم السابق الذي وافقه ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فهذه الموافقة لما رأوه بما اعتقدوه كانت الدافع وراء مدحهم، وكأنهم فرحون بأن ما كانوا عليه في سالف زمانهم إنما هو الحق.

---

[٩٨] والحديث مشهور: انظره في البخاري: الجامع الصحيح، تحقيق محمد زهير ناصر، مصورة السلطانية وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء، رقم: ٧٥١٠، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ. ومسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٩٩] الديوان: ١٥٩، (سيرة ابن هشام: ٣٧٤/٢) (البيهقي: دلائل النبوة: ٣٦٠/٤) (الروض الأنف: ٧/ ١٦٦) (الإملاء المختصر في شرح غريب السير: ٣٥٤) (الحماسة المغربية: ١/ ٥٠)

[١٠٠] الحماسة المغربية: ٧٨/١

فما كان من شعر ورقة بن نوفل في ذلك:

لَجَجْـتُ وَكنـتُ فـي الـذكرى لَجوجـا لَهـــم طَالَمـــا بَعَـــثَ النَّشـــيجا

ومثله شعر أبي قيس صرمة بن أبي أنس:

ثَـوى فـي قُـريشٍ بِضْـعَ عَشْـرةَ حِجَّـة يُـذَكِّرُ لَـوْ يَلْقَـى صَـدِيقاً مُواتِيـاً

- **ومن المثير الخاص دافع القصيد بفاعل <u>المواقف المشاهدة</u> والحوادث المعاينة:**

يدخل في هذا النوع ما كان من المواقف المشاهدة المعاينة التي يمكن أن تمثل لنا سببًا في إسلام أحدهم، على أن يكون هذا الموقف من خوارق العادات، وخوالف الطبيعة...

- فما كان من شعر رافع مكلم الذئب يدخل في هذا النوع من الأمور الخارقة، التي كانت مثيرًا قويًّا للتعبير عن هذه الحادثة:

رعيـــت الضـــأن أحميهـــا بكلبـــى مـــن اللصـــت الخفـــي وكـــل ذيـــب

فلمـــا أن ســـمعت الـــذئب نـــادى يبشـــرني بأحمـــد مـــن قريـــب

ســـعيت إليـــه قـــد شـــمرت ثـــوبي علـــى الســـاقين قاصـــرة الركيـــب

- وما كان في البدء مما ورد في إسلام العباس بن مرداس، حيث ورد في قصة إسلامه مثل ذلك، غير أن الذي حدثه بذلك كان صنمًا له في الجاهلية، يصدر من جوفه صوت يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقد جاء عنه قوله: (أَوَّلُ إِسْلَامِي أَنَّ مِرْدَاسًا أَبِي، لَمَّا حَضَرَتْهُ

الْوَفَاةُ أَوْصَانِي بِصَنَمٍ لَهُ يُقَالَ لَهُ: ضِمَارٌ، فَجَعَلْتُهُ فِي بَيْتٍ وَجَعَلْتُ آتِيهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً، فَلَمَّا ظَهَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعْتُ صَوْتًا مُرْسَلًا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ رَاعَنِي، فَوَثَبْتُ إِلَى ضِمَارٍ مُسْتَغِيثًا، وَإِذَا بِالصَّوْتِ مِنْ جَوْفِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

قُلْ لِلْقَبِيلَةِ مِنْ سُلَيْمٍ كِلِّهَا ... هَلَكَ الْأَنِيسُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ

أَوْدَى ضِمَارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً ... قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى ... بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِن قُرَيْش مهتدى

قَالَ: فَكَتَمْتُهُ النَّاسَ،...)[١٠١] وهكذا صار يتردد عليه هاتف الجن أكثر من مرة في صورة غير الصورة الأولى... (قَالَ: فَوَثَبْتُ مَذْعُورًا وَعَلِمْتُ أَنَّ مُحَمَّدًا مُرْسَلٌ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَاحْتَثَثْتُ السَّيْرَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَبَايَعْتُهُ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى ضِمَارٍ فَأَحْرَقْتُهُ بِالنَّارِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْشَدْتُهُ شِعْرًا أَقُولُ فِيهِ:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَجْعَلُ جَاهِلًا ... ضِمَارًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُشَارِكًا

وَتَرْكِي رَسُولَ اللَّهِ وَالْأَوْسَ حَوْلَهُ ... أُولَئِكَ أَنْصَارٌ لَهُ مَا أُولَئِكَا

كَتَارِكِ سَهْلِ الْأَرْضِ وَالْحَزْنَ يَبْتَغِي ... لِيَسْلُكَ فِي وَعْثِ الْأُمُورِ الْمَسَالِكَا

فَآمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ ... وَخَالَفْتُ مَنْ أَمْسَى يُرِيدُ الْمَهَالِكَا

[١٠١] ابن كثير: السيرة النبوية، (١/ ٣٥٩)

- أو ما كان من شعر الحوادث، مثل شعر عمر بن الخطاب في وصف ما حدث بعد غزوة بدر، وغيره من الصحابة الذين أنشدوا شعرًا بعد كل غزاة.

غير أن الدافع هنا خارجي اجتمع مع آخر داخلي من حب النبي وغيرتهم على دينهم، وتقربهم إلى الله بذلك.

❖ ومن الدوافع الخاصة في قصيدة الاعتذار ما رأيناه في التركيز على معنى العفو والكرم كما ذكرنا سابقًا، غير أننا نجد من المعتذرين من اتخذ معنى القصيدة كاملة للتعبير عن هذا المعنى دون التصريح به، ربما كان ذلك لكبر في نفسه التي لما يخالطها الإسلام، وهو أنس بن زنيم ففي أبياته قد حشد – تقريبًا– كل المعاني المدحية التي يمكن أن تقال في الممدوح من الخيرية، والكرم والشجاعة، والقدرة،... وختم أبياته ببيتين يظهر فيهما قدرة النبي صلى الله عليه وسلم عليه:

تَعَلَّـــمْ رَسُـــولَ اللَّهِ أَنَّـــكَ مُـــدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيـــدًا مِنْـــكَ كَالْأَخْـــذِ بِالْيَـــدِ

تَعَلَّـــمْ رَسُـــولَ اللَّهِ أَنَّـــكَ قَـــادِرٌ عَلَـــى كُـــلِّ صِـــرْمٍ مُثْهِمِـــينَ وَمُنْجِـــدِ

في نوع من الثنائيات الضدية يشير فيها إلى عجزه مع قدرة النبي عليه. فكأنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: أنا العاجز أمامك وأنت القادر، وقد علمنا ما أنت فيه من البر والوفاء، والشجاعة والكرم. فما بالنا بمن يقول هذا القول. أليس يقول له: اعف عني؟

ومن الدوافع الخاصة في شعر المؤلفة قلوبهم ما تمثل في المثير الخارجي الذي توافر عند هذه الفئة من الشعراء جميعهم، وهو طلب المال.

وقد رأينا مثالاً واضحًا على ذلك في قصيدة العباس بن مرداس التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم، ومطلعها:

يَــا خَــاتم النبــآء إِنَّــك مرســلٌ بِــالْحَقِّ كــل هــدى السَّــبِيل هــداكا

ثم يأخذ في وصف فعال قومه، ومن كان أميرًا عليهم يوم حنين، وهو الضحاك بن سفيان الكلابي:

ثــمَّ الَّــذين وفــوا بِمَــا عاهــدتهم جنــدٌ بعثــت عَلَــيْهِم الضــحاكا

وَبَنُــو ســليم معنقــون أَمَامــه ضــربا وطعنــاً فِــي الْعَــدو دراكــا

إلى أن يختم أبياته بأن مشاهد الحروب التي وصفت لك هي مشاهدنا نحن بنو سليم، وأن الله ولينا فيها:

هــذي مشــاهدنا الَّتِــي كَانَــت لنــا مَعْرُوفَــــة وولينــــا مولاكــــا

والموضوع الذي تدور فيه القصيدة هو الفخر القبلي، فكان يفخر بقومه لما حققوه من نصر حين آزروا رسول الله، وكأنه يريد أن يوجه رسالة مفادها: إن قومي قد نصروك؛ لذا فإننا نستحق الغنم والجائزة.

<u>تلاقي المعاني:</u>

كما قلنا سابقًا بتلاقي المثير بين فئات الشعراء المصنفين في هذا البحث، فإن التلاقي كذلك يتعلق بالجانب التعبيري، وذلك فيما يظهر من معاني، ونحن نرى أن بعضًا من هذه المعاني يمكن أن تتلاقى وإن اختلف المثير، وقد عبر شعراء الأصحاب عن معنى التمكين، وعبر كذلك من المعتذرين عن المعنى نفسه أنس بن زنيم، وإذا كان هذا المعنى عند الشعراء

الأصحاب قد صدر عن عقيدة ثابتة، وحب لرسول الله، وتقرب إلى الله تعالى، فربما كان هذا المعنى عند أنس من باب قصده التعبير عن التمكين منه نفسه، أو ربما كان محاكاة لمعاني الأصحاب عساه أن يدخل في قربهم...

الثنائيات الضدية في شعرهم:

وجدنا أن المادحين للنبي –خاصة من الأصحاب– قد مدحوا في معرض الحديث عن الفخر بنصر الله أو الرد على المشركين، وفي هذا الشعر نجد نوعين من الثنائيات الضدية في المعاني التي يبرز المدح في أثنائها. ومن ذلك:

ثنائية الهدى والضلال:

وهي أكثر ما توجد في شعر الأصحاب، ليصوروا لنا حالهم قبل الإيمان وبعده.

ومن ذلك أن يعبروا عن الهدى بأن النبي هو النور، أو أداة النور من كونه بدرًا، أو شهابًا... وقد استخدم كعب بن مالك هذه الثنائية بين الهدى والضلال في تعبير بالثنائية بين أداة الهدى، وأثر الضلال فقال:

أطعنـــاه لـــم نعدلـــه فِينَـــا بِغَيْـــرِهِ شـــهاباً لنـــا فِـــي ظلمَـــة اللَّيْـــل هاديـــا

وممن عبر عن هذه الثنائية عمر بن الخطاب بين قوله: "أظهر دينه..." وقوله: "على كل دين قبل ذلك حائد" فالتعبير بلفظ "دين" على ما هو واقع مع نسبته إلى الله عز وجل، وباللفظ نفسه "دين" الذي وصف بأنه حائد مع التعبير بلفظ "كل" المضاف إلى دين النكرة، ليفيد استغراق الأديان جميعها

من قبل –تعبير عن ثنائية حتمية للهدى الصادر عن الدين المنسوب إلى الله سبحانه، وللضلال المنسوب لأي دين موصوف بميله عن الحق. يقول:

ألـــم تَـــرَ أَن الله أظهـــر دينـــه علـــى كـــل ديـــنٍ قبـــل ذَلِـــك حائـــد

ومن الطرق التي عبّر بها الشعراء عن هذه الثنائية وغيرها ما أسميه بـ:

غياب الصياغة وحضور المعنى:

من الآليات التي استخدمها الشعراء في التعبير عن هذه الثنائية الضدية من الهدى والضلال، وأسميتها الحضور الدلالي وغياب الصياغة، فقد يأتي ما يدل على المعنى وضده باستخدام طريقة من إثبات المعنى لأحد طرفي الضدية، ومن ثم وجود الضد بنفي ما أثبت، وذلك عن طريق الجملة الخبرية. فهذا العباس رضي الله عنه يثبت الإشراق والنور بمولده، ومن ثم نفيد وجود الضلال الحتمي الذي يؤكده إثبات العكس من النور والضياء:

وَأَنْـــتَ لَمَّـــا وُلِـــدْتَ أَشْـــرَقَتِ الْـــ أَرْضُ وَضَـــاءَتْ بِنُـــورِكَ الْأُفُـــقُ

فَـــنَحْنُ فِـــي ذَلِـــكَ الضِّـــياءِ وَفِـــي النّـــ ـــــورِ وَسُـــبُلَ الرَّشَـــادِ نَخْتَـــرِقُ[١٠٢]

فالفعلان (أشرقت، وضاءت) يدلان على إظلام الأرض قبل مولده صلى الله عليه وسلم، فإذا كان الإشراق والضياء يدلان على الهداية، فإن الإظلام يدل على الضلال والجهالة.

وقد يكون عن طريق جملة الشرط التي تفيد عموم نسبة الحدث إلى طائفة، ومن ثم نفي هذه النسبة عن غيرها، كما في قول عبد الله بن رواحة:

[١٠٢] الحماسة المغربية (١/ ٤٦)

أَنْــتَ النَّبِــيُ وَمَــنْ يُحْــرَمْ شَــفَاعَتَهُ يَــوْمَ الْحِسَــابِ فَقَــدْ أَزْرَى بِــهِ الْقَــدَرُ[١٠٣]

فأسلوب الشرط هنا (من يحرم شفاعته...) دل على عموم نسبة الحدث إلى الكفار، حيث استخدم الفعل (يحرم)، ومن ثم عموم ضد هذه النسبة إلى المسلمين، وكأنه يقول: ومن يكسب شفاعته فقد أعلى به القدر... فيكون التعبير بذلك عن هذه الثنائية من الضلّال محرومي الشفاعة، والمهتدين صاحبي الشفاعة.

وقد يستخدم في هذا التعبير عن الغياب الصياغي الإضافة إلى ضمير المتكلم الجمعي، فإثبات صفة ما إلى هذا الضمير الجمعي، تفيد نفي هذه الصفة عن مقابله الجمعي، وهو الخطاب، أو الغياب...

فقول كعب بن مالك في معرض الفخر بنصر الله:

فِينَا الرَّسُول شهابٌ ثمَّ يتبعهُ... نورٌ مضيء لَهُ فضلٌ على الشهب[١٠٤]

قد أثبت صفة النور لطائفة المؤمنين جميعهم عن طريق إضافته إلى الضمير (نا) لجماعة المتكلمين، وهذا يقتضي أن ينفي هذه الصفة عن المقابل الجمعي للضمير، وهو (فيكم) فكأن القول: فينا الرسول شهاب، وليس فيكم شهاب،... وهكذا

[١٠٣] الديوان: ١٥٩، (سيرة ابن هشام: ٣٧٤/٢) (البيهقي: دلائل النبوة: ٣٦٠/٤) (الروض الأنف: ٧/ ١٦٦) (الإملاء المختصر في شرح غريب السير: ٣٥٤) (الحماسة المغربية: ١/ ٥٠)

[١٠٤] الحماسة المغربية (١/ ٥٢)

ثنائية العز والذل:

يأتي التعبير عن هذه الثنائية في معرض الحديث عن الفخر بنصر الله، فيعرض الشاعر لما هم عليه من العز بنصر الله وتمكينه في مقابل الذل بهزيمة المشركين.

وقد جاءت واضحة في أبيات عمر بن الخطاب: حيث استخدم الفعلين (أظهر /أمكن) في طرف العزّ والرفعة، واستخدم متعلقات هذين الفعلين للطرف الآخر من الذل (على كل دين/ من أهل مكة).

كذلك فقد عبر بثنائية الصيرورة عما آل إليه كل فريق من الفريقين، (فالأول: أمسى رسول الله قد عز نصره) والثاني (أمسى عداه من قتيل وشارد).

فكان التعبير عن معنى الذل الذي لحق المشركين هو المناط التعبيري لهما، يقول عمر: (وأمسى عداه من قتيل وشارد). ومثله ما نسب إلى علي بن أبي طالب: (فلاقوا هوانًا من إسار ومن قتيل) غير أن عمر بن الخطاب قد جعلهم بين مقتول وشارد يهيم في الأرض، أما علي فقد جعلهم صنفين: صنف مقتول، وآخر مأسور. وفي المعنيين يلحق الذل والهوان بهما فليس حال الفارّ الهارب بأحسن من حال المقيد الأسير، أو العكس.

ثنائية الكرّ والفرّ:

الكر والفر من أهم مظاهر الحروب، وقد وظف هذه الثنائية كعب بن مالك حيث عبر عن الطرفين المتواجهين في المعركة، وقد استخدم لها ضميرالجمع الغائب للتعبير عن الأعداء في مقابل ضمير الجمع المتكلم للتعبير عن فريقه.

(ساروا /وسرنا) (ماذا لقينا/ وماذا لاقوا) (كنا الأسود/ وكانوا النمر) ليعبر عن التصارع القوي بين طرفي هذه الثنائية لتكون النتيجة في النهاية (فكم تركنا فيها من سيد بطل) التي تعبر في ذاتها عن الثنائية السابقة (العز والذل) التي هي نتيجة لثنائية الحرب (الكرّ والفرّ).

ثنائية السلم والحرب:

إحدى الثنائيات التي فهمناها من شعر الأقارب مثل طالب بن أبي طالب، غير أنها عنده تحمل بعدًا أعمق فلا يقصدان لذاتهما، بل إلى ما يؤولان إليه، وما ينتج عنهما، فالمقصود بهما الأثر.

والأبيات التي اختارها صاحب الحماسة لطالب بن أبي طالب قد وردت كاملة في سيرة ابن هشام، وتبدو هذه الثنائية واضحة فيها، حيث يحث قومه على ألا يبعثوا الحرب، يقول:

فَيَـــا أَخَوَيْنَـــا عَبْـــدَ شـــمس ونـــوفلا فـــدى لَكُمَـــا لَا تَبْعَثُـــوا بَيْنَنَـــا حَرْبَـــا

وَلَا تُصْـــبِحُوا مِـــنْ بَعْـــدِ وُدٍّ وَأُلْفَـــةٍ أَحَادِيـــثَ فِيهَـــا كُلُّكُـــمْ يَشْـــتَكِي النَّكْبَـــا

أَلَـمْ تَعْلَمُـوا مَـا كَـانَ فِـي حَـرْبِ دَاحِـسٍ وَجَـيْشِ أَبِـي يَكْسُـومٍ إِذْ مَلَئُـوا الشِّـعْبَا

وهو مع ذلك تغمره عاطفة أخرى من الحزن على من مات من قومه في بدر، كانت هي الدافع الأساس في دعوته للسلم، مع اختلاط هذه العاطفة بأخرى من الخوف والإشفاق على ابن عمه، فيأخذ في مدحه لتذكير قومه بما أقروه من خصاله الحميدة. وتتضح الجهة الأخرى لهذه الثنائية في دعوته للحرب، ولكن ليس الممدوح ذو الصفات المحمودة هو من يستحق أن تعلن عليه الحرب، بل يُحمِّل الجناية كلها على الخزرج من الأنصار:

فــواللهِ لَا تَنْفَــكُّ نَفْســي حَزِينَــةً تَمَلْمُــلُ حَتَّــى تَصْــدُقُوا الْخَــزْرَجَ الضَّــرْبَا

وأما المدح في معرض الاعتذار وطلب العفو، فنجده يحمل ثنائية مهمة هي:

ثنائية العجز والقدرة:

وهي واضحة جدًّا في شعر المعتذرين وخاصة عند أنس بن زنيم، فقد استخدم ما يعبر عن هذه الثنائية العجز والقدرة، تعبيرًا لا يراد لذاته، بل المراد منه طلب العفو.

فبعد أن مدح النبي بأنه سبيل الهداية، وأنه خير من حملت الدواب، أبرهم وأوفاهم، وأحثهم على الخير، وأوسعهم يدًا... يختم أبياته المدحية بقوله:

تَعَلَّــم رَسُــول الله أَنَّــك مــدركي وَأَن وعيــداً مِنْــك كالأخــذ بِالْيَــدِ

تَعَلَّــم رَسُــول الله أَنَّــك قــادرٌ علــى كــل صــرمٍ متهــيمن ومنجــد

ليوضح هذه الثنائية في طرفها الأول الإدراك، والقدرة، وفي طرفها الثاني العجز والعجز، فالعجز منه عن التخفي والتستر، فمجرد وعيده يحقق مثوله بين يديه، والعجز منه في أن تلقى من يدفع قدرته، فقدرته أحاطت بالناس سواء أأتهموا أم أنجدوا.

وفي الطالبي العفو كما كان عند لبيد بن أبي ربيعة يحقق هذه الثنائية أيضًا فالعجز تمثل في استخدام الفعل أتيناك المسند إلى جماعة المتكلمين، فالعجز ممثل في جمعهم وليس في ذات الشاعر وحده، وكرر الفعل أتيناك ليدل على بلوغ غاية العجز؛ موضحًا أسباب العجز باستخدام التعليل (لترحمنا) وبالحال (نشكوا) وبتكرار الشرط (فَإِن تدع أُخْرَى بالقحوط فإننا... أَحَادِيث طسمٍ مَا دعاؤك بِالْهَزْلِ) فدعاؤك علينا مهلكة لنا، ودعاؤك لنا (وَإِن تدع بالسقيا وبالعفو

ترسل السَّمَاء... لنا وَالْأَمر يبْقى على الأَصْل) عود للحياة، وفي كل ذلك نتمثل الطرف الآخر من القدرة، الذي يبدو واضحًا في آخر أبياته:

وَأَنـــت لـــدنيانا وَأَنـــت لـــديننا تؤمـــل للـــدنيا وللموقـــف الْفَصْـــل

وَلَـــيْسَ لنـــا إِلَّا إِلَيْـــك فرارنـــا وَأَيْـــنَ فـــرار النَّـــاس إِلَّا إِلَـــى الرُّسُـــل

والعجز والقدرة هنا يتفقان مع ما سبق عند أنس بن زنيم، فكلاهما يعجزان عن الدفع عن أنفسهما سبيل الحياة، وكلاهما يقدر عليهما النبي. فالمشترك بينهما هو الملجأ والملاذ، غير أنه عند المعتذر ملجأ أمن وأمان، وعند طالب العطية ملجأ إجارة ورفع ضرّ.

والملحوظ على هذه الثنائيات أنها خضعت لباب المثير أو الدافع الخارجي والداخلي، فوافقته، فثنائية الهدى والضلال خضعت لدافع الحب الممزوج بنصرة الدين الجديد، فعبرت عن حالين من الواقع ومما كان.... وهكذا.

وثنائية الحرب والسلام عبر عنها طالب بن أبي طالب ومثيرها الخوف، والاستعطاف، والخوف عنده ذو شقين؛ الأول خوف عليه، والثاني: خوف على قومه مما قد يلحق بهم مثل الذي لحقهم في بدر. أما الاستعطاف فهو الطرف الآخر من هذه الثنائية ممثلاً السلام أيضًا في مقابل الحرب، فالشاعر تتردد نفسه بين الشك والحيرة، شك في نصر أي فريق من الفريقين، غير أن يقينه يتمثل في مغبة الحروب، وما تفعله بالأقوام، ويقينه الآخر هو ما يحاول أن يلبسه من السبب في هزيمة قومه، وهم الخزرج.

ثالثًا: المثير واللغة:

- **أثر المثير في الألفاظ: (الألفاظ الإسلامية والاقتباس القرآني):**

يعد الاقتباس القرآني أحد الآثار المترتبة على المثيرات النفسية التي أثرت على الشعراء الإسلاميين في هذه الفترة، وهي الألفاظ التي اقتبسها الشعراء تصريحًا أو تضمينًا من القرآن والسنة.

كذلك فإننا نجد أن شعر هذه الفترة قد ارتبط بصورة واضحة بالألفاظ الإسلامية، وهي الألفاظ التي اكتست دلالة جديدة غير المعهود فيها من قبل. ومن الألفاظ الإسلامية التي وردت في شعرهم:

(النور/ والضياء/ المرسلين/ الشفاعة/ الشفيع/ الراجون شفاعته / يخصف/ يوم الحساب/ القدر/ الوسيلة/ وحي ربنا/ فتيلاً/ يوم القيامة/ صلى الإله/ صلوا عليه وسلموا تسليمًا/ نسرا/ سبل الرشاد/ إلّ/ لم نأل/ الروح/ النبي/ الرسول/ أسماء الأنبياء (آدم- موسى- عيسى) / أسماء الملائكة (ميكال- جبريل)/ عزيز قادر/ أف لدينكم/ راحم مرحوم/ أحمد مصطفى/...)

وقد تنوعت هذه الألفاظ بين الأعلام كما في أسماء الأنبياء والملائكة، وبين الصفات (راحم / مرحوم / شفيع/...) وبين الأفعال كما في (صلوا- سلموا- يخصف...) وبين المصادر كما في (النور/ والضياء/ والشفاعة/ والقدر/...)

ولا شك أن ظهور هذه الألفاظ موفورة في شعرهم كان من الأثر النفسي في قلوبهم، وتعلقهم الشديد بالإسلام وتعاليمه، وبما يتردد أمامهم آناء الليل والنهار من آيات كتاب الله.

التناص من القرآن الكريم:

نستطيع أن نحكم على شعر هؤلاء الشعراء بالتناص من القرآن الكريم، مع تنفيذ آلياته بأوضح ما يكون من استخدام اللفظ الواحد حتى يؤدي المعنى السابق نفسه. ومن ذلك قول كعب:

جالوا وجلنا فَمَا فاؤوا وَلَا رجعُوا...

والفيء هنا بمعنى "الغنيمة، والفعل منه أفاء، قال جل وعزّ: (ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِه) والفيء: الرّجوع، تقول: إنّ فلاناً لسريعُ الفيء عن غضبه."[١٠٥] والفيء أيضًا بمعنى الرجوع، ويحتمل أن يكون مرادًا، من باب التوكيد، ولكن الأوْلى أن يحمل على معنى الغنم، بمعنى أنهم لم ينالوا غنيمة، ولا هم رجعوا عما أرادوا بعد هزيمتهم.

وما ورد من الفيء في آيتي البقرة والحجرات فبمعنى الرجوع. {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ٢٢٦] قال الله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩]

وقول الشاعر: (ليسا سواء....) من قوله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} [آل عمران: ١١٣]

[١٠٥] الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (باب اللفيف من الفاء: ف ي ء)

ومنه قوله: "وكونوا كمن يشري الحياة تقرّبًا"... من قوله تعالى: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ٧٤]

ومنه قول الشاعر: بلاء عزيز ذي اقتدار من قول الله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ} [القمر: ٤١، ٤٢]

وقول الشاعر: (ما إن نراقب من إلٍّ ولا نسب) من قول الله تعالى: {لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠)} [التوبة: ١٠]

ولفظ (تبب) في قول الشاعر: (فمن يجبه إليه ينج من تبب) من قول الله تعالى: {وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)} [هود: ١٠١]

وفي قول العباس بن عبد المطلب: (يخصف الورق....) من قوله تعالى في قصة آدم وزوجه: {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} [طه: ١٢١]

وقوله في القصيدة نفسها: (يهبط) من قوله تعالى: ({قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٣٨]

وقول الشاعر: (ألم تر أن الله....) من قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيد} [إبراهيم: ١٩] و [مريم: ٨٣] و [الحج: ١٨، ٦٣] وهي كثيرة جدًا في القرآن.

وقول عمر بن الخطاب: "مسومةً بَين الزبير وخَالِد "

يقصد الخيل، وإنما يراد بها أنها معلمة بعلامة، ((وَالْخَيْل الْمُسَوَّمَة، الرّاعية. يقال: سامت الخيل فهي سائمة إذا رعت. وأسمتها فهي مسامة، وسوّمتها فهي مسوّمة: إذا رعيتها. والمسوّمة في غير هذا: المعلّمة في الحرب بالسّومة وبالسّيماء. أي بالعلامة. وقال مجاهد: الخيل المسومة: المطهّمة الحسان. وأحسبه أراد أنها ذات سيماء. كما يقال: رجل له سيماء، وله شارة حسنة))[١٠٦]، أو أن الخيل إذا أغير بها أطلقوا عليها مسومة، ((سَوَّم الخَيْل: أَرْسَلَها إِلَى المَرْعَى تَرْعَى حَيْثُ شَاءَت. وَبِه فَسَّرَ الأخفشُ قَوْلَهُ تَعَالى: {مسومين} قَالَ: وإِنَّما جَاءَ باليَاءِ والنُّون؛ لأَنَّ الخيلَ سُوِّمَت وعَلَيها رُكْبانُها. وسَوّم على القَوْمِ: إِذَا أَغارَ عَلَيْهِم))[١٠٧] واللفظ قرآني، قال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} [آل عمران: ١٤] وقوله: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ } [هود: ٨٢، ٨٣] وقوله تعالى:{مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ} [الذاريات: ٣٤]

وقول الشاعر: (فتيلا) من قول الله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء: ٤٩]

وقول الشاعر: (راحم مرحوم) ربما يكون من قول الله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيم} [التوبة: ١٢٨]

---

[١٠٦] ابن قتيبة: غريب القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، مصورة دار الكتب المصرية، ١٩٧٨م، (ص: ١٠٢)

[١٠٧] تاج العروس: مادة س و م (٣٢/ ٤٣٣)

أثر المثير في تخير الألفاظ:

ومن خلال ما أقررناه سابقًا من تقسيم الشعراء وأنواع القصيد في هذا البحث نجد أن قصيدة المدح للمدح أو قصيدة الأصحاب قد حملت من الألفاظ الإسلامية أكثر مما حملت غيرها من الأنواع.

فاستخدموا النور والضياء للهداية، أمكن، نكالا لمفسد، سبل الرشاد/ الجنان/ مسومة/ يخصف/ هبطت البلاد/ مضغة/ علقة/ طبق/ سبل الرشاد/ النبي/ نبي/ شفاعته/ يوم الحساب/ القدر/ تثبيت موسى/ عبدنا الله/ نرج/ رجاء الجنان/ من إل ولا نسب/ الرسول/ الحق/ العدل/ تبب/ فاتبعناه/ نصدقه/ فاؤوا/ ليسا سواء/ حزب الإله/ أهل الشرك والنُّصب/ نطيع نبينا/ ونطيع ربًّا/أطعناه/ نتبع/ نسمع/ الرحمن/ رؤوفًا/ أف لدينكم/ الروح/ يحيى ويرجع/ يشري الحياة/ يعز الله/ من يشاء/ جبريل/ روح القدس/ أرسلت عبدًا/ صلى الإله/ الراجون/ شفاعة/ صلوا عليه وسلموا تسليما/ رسول المليك/ كتابًا منيرًا/ تخيره الإله/ ميكال/ عزيز قادر/ ذي العرش/ هجدًا/ سجدًا/ مددًا/ المدينة/... وغيرها مما كرر من هذه الألفاظ.

لاحظنا كذلك أن الألفاظ الإسلامية أو التراكيب التي استخدمها كل واحد من الشعراء الأصحاب مختلفة العدد بحسب ما ذكر من مقطعات أو أبيات لهم، فقد كان عددها في مقطعة عمر بن الخطاب أربعة ألفاظ، وفي قصيدة العباس عشرة ألفاظ، وعند ابن رواحة ثلاثة ألفاظ، وفي المذكور من شعر كعب بن مالك ثلاثة وثلاثون لفظًا، وعند حسان أربعة وعشرون لفظًا، وعند عمرو بن سالم الخزاعي خمس مرات، وعند مالك بن نمط أربعة ألفاظ. ويكون بذلك إجمال الألفاظ الإسلامية المذكورة في شعرهم سبعة وثمانين لفظًا.

- **ألفاظ الاتباع والطاعة عند الأصحاب:**

قد استخدم الشعراء الأصحاب ألفاظ الرجاء، والاتباع، والسمع، والطاعة بكثرة واضحة، في الوقت الذي لم يستخدم المعتذرون من هذه الألفاظ إلا لفظ "نرجوه" في قوله:

امنن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وننتظر

الذي لا يمكن حمله في موضعه من البيت إلا على الانتظار، وليس الرجاء الذي هو أحد أسس العقيدة الإسلامية. واستخدمه من الأحناف ورقة بن نوفل مرة واحدة بصيغة الفعل "أُرَّجي".

وقد استخدم كعب بن مالك من الألفاظ التي تدل على الاتباع والطاعة في الأبيات موضع البحث ما يقرب من سبع مرات: (فاتبعناه/ نطيع نبينا/ ونطيع ربًّا/ أطعناه/ نتبع/ نطيع ونسمع/...)

وفي قصيدة الشعراء الأحناف أو من آمنوا بدليل من الموقف المعاين، وهم من يمثلون خلفية ثقافية فكرية معينة (دينية أو كهنية) وجدنا أن الألفاظ والتراكيب الإسلامية في شعر ورقة بن نوفل ثمانية ألفاظ، وفي شعر سواد بن قارب سبعة، وعند رافع بن عميرة ستة ألفاظ، وفي شعر أبي قيس صرمة بن أبي أنس خمسة، وعند لهب بن مالك وكذلك سراقة بن جثعم ثلاثة ألفاظ لكل واحد منهما. فيكون مجموع ما ذكر من هذه الألفاظ في شعر أصحاب الخلفية الفكرية اثنين وثلاثين لفظًا.

أما قصيدة الاعتذار فقد قلّت فيها هذه الألفاظ والتراكيب مقارنة بقصيدة الأصحاب، فرأيناها عند عبد الله بن الزبعرى في سبعة عشر لفظًا، وعند أنس بن زنيم في ثلاثة ألفاظ، وعند زهير بن صرد خمسة ألفاظ، وفي

البيتين المذكورين لكعب بن زهير خمسة ألفاظ، وعند أبي عزة الجمحي ثلاثة ألفاظ, فيكون مجموع الألفاظ الواردة في شعر المعتذرين من الألفاظ الإسلامية ثلاثة وثلاثين لفظًا. وأكثر المعتذرين الذين تردد في شعرهم هذه الألفاظ كان ابن الزبعرى، أحد شعراء مكة وأكثر من خاض المساجلات الشعرية مع شعراء المدينة قبل إسلامه، فكانت كثرة مخالطته للمسلمين في مكة أحد هذه الأسباب التي آتته المعرفة بهذه الألفاظ من النور والهداية، واليقين، وسنة البرهان، وأحمد اسم النبي، ومصطفى، وغيرها حتى إنه قد ذكر منها ما كان من علامات النبوة وهي: الخاتم والنور في جبينه صلى الله عليه وسلم في قوله: نور أغر، وخاتم مختوم.

وعن ورود بعض هذه الألفاظ في شعر المعتذرين أو غيرهم من غير الأصحاب الخلص الذين لم يتغلغل الإيمان في قلوبهم، فإنه ربما يرجع لسبب أن هذه الألفاظ وتلك المعاني قد كثر دورانها وترددها بين الصحابة ومن خالطوهم[١٠٨]، وأن شعر الواحد منهم بما يحمله من هذه الألفاظ وتلك المعاني قد انتشر انتشارًا واسعًا بين أطياف المجتمع مسلميه ومشركيه، خاصة إذا كانت القصيدة في الرد على المشركين –وهي أكثرها مما يحمل هذه الألفاظ– أو ما يمكن أن نسميه قصائد المعارضات الإسلامية.

نرى كذلك أن الشعراء أصحاب الخلفية الدينية من الأحناف قد استخدموا الألفاظ الإسلامية بوصفها ألفاظًا إسلامية أعمق، تدل على خبرتهم

---

[١٠٨] يؤيد ذلك ما ذكره محمود علي مكي في تعليقه على لامية كعب بن مالك في مناقضة ضرار بن الخطاب في يوم أحد:"ولسنا نستبعد أن يكون كعب بن زهير قد وضعها نصب عينيه حينما نظم قصيدته المشهورة في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم والاعتذار له" محمود علي مكي: المدائح النبوية، ص٢٩

بالدين الجديد وإن لم يعايشوه، بل سمعوا عنه فقط، فهذا ورقة بن نوفل من الأحناف يستخدم (ذي العرش، وسمك البروجا، وعروجًا، وأرجي، والأقدار، وشهدت) وهي ألفاظ لا يستخدمها إلا من خبر الدين الجديد، وعلم بواطنه. وكذلك ما كان من أبي قيس صرمة بن أبي أنس من الأحناف أيضًا الذي نرى في شعره ما يدل على خبره بعلم الأولين من الأنبياء والرسل فيذكر لنا نوحًا وموسى.

وأما شعر المؤلفة قلوبهم أو طالبو العطية فقد وجدنا أن الألفاظ الإسلامية في شعر العباس بن مرداس أوفرها حظًّا، بل قد يستخدم اللفظ موافقًا للفظ القرآني أو قريبًا منه كما في قوله: يدمغ، أو قوله: خاتم النبآء، بصيغة جمع التكسير الذي يقتضيه الوزن. وظهرت هذه الألفاظ في شعره أربع عشرة مرة. فإذا ذهبنا إلى لبيد بن ربيعة وهو أحد من طلبوا العطية، ولكن في صورة مختلفة، طلبها لقومه، في صورة أن يفرج الله عنهم الجدب والقحط – وجدناه يستعمل هذه الألفاظ أربع مرات، مع الأخذ في الاعتبار أنه كان حديث عهد بالإسلام، وافدًا مع قومه في عام الوفود، وربما لما يكن أسلم وقتها. شيء آخر يستدعي النظر هو أن هذه الألفاظ الأربعة (الموقف الفصل/ يوم الحساب/ شفاعة/ الرسل) لم تذكر إلا في البيتين الأخيرين فقط، وهما ما يشك فيهما، إلا إذا قلنا بعلمه السابق بأحوال الأمم السالفة ورسلهم.

ونأتي لمالك بن عوف أحد المؤلفة قلوبهم فلم نجد ذكرًا لهذه الألفاظ في المذكور من شعره في الحماسة.

وفي شعر الأقارب لم نجد منهم من يذكر من الألفاظ الإسلامية شيئًا إلا أبو طالب فذكر (المصطفى، وأحمد، وموسى) ونحن نعلم أن من المحققين من أنكر أبياتًا كثيرة في لامية أبي طالب.

- **من أثر المعنى في تخير اللفظ:**

➢ معنى الخيرية وتخير اللفظ:

قد يفرض المعنى على الشاعر أن يختار ألفاظًا أو صيغًا بعينها، ومن المعاني المدحية التي نجد لها هذا الأثر معنى الخيرية، فيستعمل له الشاعر أفعل التفضيل، وقد يوافق المعنى المعجمي الصيغة باستخدمهم لفظ "خير" نفسه، يقول حسان بن ثابت: خير عصبة آدم، وقول طالب بن أبي طالب: خير من وطئ الترابا. وقول العباس بن مرداس: يا خير من ركب المطي، وقول ابن الزبعرى: يا خير من حملت على أوصالها.

أو قد يخالف الشاعر بين استخدام التفضيل والمعنى المعجمي للصيغة ليدل على بلوغ الغاية في هذا المعنى، يقول مالك بن نمط: أشد على أعدائه من محمد، وقول أنس بن زنيم: أبر وأوفى ذمة من محمد.

أو قد يعبر عن هذا المعنى بالعلَم الموافق لصيغة التفضيل:

يقول حسان: فمن كان أو من قد يكون كأحمد. وقول ابن الزبعرى: أحمد مصطفى.

➢ معنى الاستغراق في صفات الممدوح وأثره في تخير اللفظ:

– الاستغراق بالتركيب الظرفي، وأسماء الجهات:

وأبصرت الضياء يضيء حولي أمامي إن سعيت ومن جنوبي

فلفظ الضياء يدل على انتشار أثره مع ما في اللفظ من دلالة على الأثر المعنوي، ليدل به استغراق أنحاء المكان وشموله، واستغراق المكان هذا يتضح في العلاقة بين الضياء والهدى وما يدعو إليه من الرشاد.

وفكرة الاستغراق هذه مسيطرة على شعراء المديح النبوي، يقول الشاعر:

..... راشد حيث يمما

فجعل لها ظرف المكان حيث، وعلقه بالفعل بعده، لعقد العلاقة المعنوية بين الرشد والجهة.

- لفظ "كل"

جاء في مدحه صلى الله عليه وسلم في قول الشاعر:

(كل هدى السبيل هداكا)

حيث إن كل يفيد هنا استغراق الجنس فيما أضيف إليه؛ ليدل بذلك على قصر الهدى عليه صلى الله عليه وسلم.

- استخدام الجملة الاسمية:

من ذلك ما نجده في وصف النبي بقول الشاعر:

الحق منطقه والعدل سيرته.....

فاستخدم الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام، ومنطق الإنسان لسانه ولغته، فأراد هنا أنه لا ينطق إلا بالحق، دلالة ثبوت الخبر وملازمته للمبتدأ.

وقول الشاعر: **وأنك في البلاد ضياء نور....**

وقول حسان: **أمير علينا رسول المليـ ـك...**

- من أثر المدح بموروث الجاهلية في اللفظ:

- لفظ: "أبيض":

ورد في معنى البياض أنه لا يقصد به بياض اللون، وإنما جاء على معاني مختلفة غير اللون، فمنه أن يكون الموصوف به نبيهًا مشهورًا، قاله أبو هلال، وقال: "تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجود وغيرهما من خلال الخير؛ لأن الإنسان لا يكون نبيهاً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جمعها وما يجري معها"[١٠٩]. ومنه أن يكون معناه الكرم، ذكره البغدادي عن السمين الحلبي: " عبر عَن الْكَرم بالبياض فَيُقَال: لَهُ عِنْدِي يَد بَيْضَاء أَي: مَعْرُوف"[١١٠]

وعند الصالحي المعنيان السابقان، ينضاف إليهما المبارك الميمون، ونظيف العرض، قال: "صفة مشبهة من البياض ضد السّواد، وهو السخيّ الجواد ومنه قول ذي الرّمّة:

وأبـــيض مرتـــاح النّحيـــزة للنّـــدى ... لـــــه نائـــــلٌ بالمكرمـــــات يفـــــيض

أو المبارك الميمون، ومنه قول الجعدي:

كـــم بـــتّ أرقـــب منـــك يومـــاً أبيضـــاً ... فـــي شـــبه وجهـــك بالنّـــدى متهلّـــل

أو المتصف بالبياض وهو نظافة العرض، يقال رجل أبيض وامرأة بيضاء أي نقية العرض من الأدناس"[١١١].

---

[١٠٩] ديوان المعاني (١/ ٣٧)

[١١٠] خزانة الأدب (٢/ ٦٧)

[١١١] سبل الهدى والرشاد (١/ ٤٢٠)

➢ لفظ النثا:

من معانيهم المدحية أن يوصف الممدوح بأنه كريم النثا، كما في قول طالب بن أبي طالب: (كريم نثاه...) والنثا عند أصحاب المعاجم[١١٢] تكون من صفة الكلام في الخير والشر، أما الثناء فيكون في الخير خاصة، والشاعر هنا (طالب بن أبي طالب) قد وافق الشعر الجاهلي في مدحه حيث جعل للمدوح من الكلام خيرًا وشرًّا فكان الشر منه كريمًا مقبولاً. وهذا المعنى لا يكون في رسول الله بهذه الصورة، فإن كلامه كله خير، ولا يفطن لهذا المعنى إلا من آمن بالله ورسوله.

❖ **الصيغ:**

– الأفعال:

كثر استخدام الفعل الماضي في القصيدة التي جاءت في تمثيل المثير الخارجي، وهي التي تحكي وقائع معاينة. ومنها ما استخدمه حسان في وصف قصة حصار عيينة الفزاري للحصن، حيث استخدم الأفعال الماضية:

(ظن– إذ زارها– منيت– عفت– زرتها– آنست– ولّوا– لم يكشفوا) لمناسبة الماضي لحكاية الحوادث الماضية من ناحية، ومن ناحية أخرى للدلالة على تحقق وقوع هذه الأفعال، وتحقق ما يلزمها من معنى الذل والهوان الذي أحاط بهم، وتحقق مقابله من العز والرفعة للمسلمين وقائدهم.

وهذه المفهوم واضح في شعر عمر يوم بدر:

[١١٢] الزبيدي: تاج العروس: مادة "نثي" ٢٠/٤٠، وانظر: أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ص٥١.

ألـــم تَـــرَ أَن اللهَ أَظْهَـــرَ دِينَـــهُ عَلَـــى كُـــلِّ دِيـــنٍ قَبْـــلَ ذَلِـــكَ حَائِـــدِ

وَأَمْكَنَـــهُ مِـــنْ أَهْـــلِ مَكَّـــةَ بَعْـــدَمَا تَـــدَاعَوْا إِلَـــى أَمْـــرٍ مِـــنَ الغَـــيِّ فَاسِـــدِ

غَـــدَاةَ أَجَـــالَ الْخَيْـــلَ فِـــي عَرَصَـــاتِهَا مُسَـــــوَّمَةً بَـــــينَ الزبيـــــرِ وخَالِـــــدِ

فَأَمْسَـــى رَسُـــولُ اللهِ قَـــدْ عَـــزَّ نَصْـــرُهُ وَأُمْسَـــى عِـــداهُ مِـــنْ قَتِيـــلٍ وَشَـــارِدِ[١١٣]

حيث عقد المقابلات بين المعنيين العز والذل، يتضح ذلك في الأبيات الأول والثالث والرابع، حيث يمثل الشطر الأول من كل واحد منها مقابلاً معنويًا للشطر الذي يقابله. وقد استخدم في ذلك أيضًا الماضي للتعبير عن هذه الحقيقة؛ سواء أكان ذلك بالفعل الماضي أو المضارع المنفي بلم، أو بالظروف الماضية:

ألم تر- أظهر- قبل ذلك- أمكنه... بعدما تداعوا- فأمسى-- قد عز- وأمسى)

وكعب بن مالك أيضًا يتخذ الأفعال الماضية لتحقيق هذه الغاية، متبعًا في ذلك الثنائيات اللفظية لتمثل الفريقين من المسلمين والمشركين، فمما جاء في شعره بعد غزوة..... (قد رمتنا- لأنا عبدنا- ساروا- سرنا – التقينا- ضربناهم- حتى هوى)

وعنده أيضا فيما قال بعد غزوة أحد:

(بدا- فاتبعناه- كذبوه- فكنا- جالوا- وجلنا- فاؤوا- رجعوا- لم نأل- ليسا)

١١٣ زهر الآداب وثمر الألباب (١/ ٧٤) الحماسة المغربية: (٤٣/١)

وقد استخدم كعب في تصوير هذه الواقعة فعلين مضارعين: الأول نصدقه، ليدل به على استمرار حال التصديق، وعدم انقطاعه. والآخر: ونحن نثفنهم، وهو لحدث قد مضى، وقد أقحمه بين هذه المتواليات من الأفعال الماضية؛ ليدل به على حكاية الحال وقت المعركة، وكأنك ترى عياناً قتلهم واحدًا بعد واحد. والحال نفسها في الشعر المنسوب لعلي بن أبي طالب حين يستخدم الماضي (أبلى- أنزل- فلاقوا- فأمسى- عزّ- وأمسى).

وأيضًا كثر استخدام الماضي في القصائد التي تحكي وقائع سابقة، كما كان عند الأحناف أو من تعرضوا للحوادث الغريبة غير المألوفة.

استخدام اسم المفعول بمعنى فاعل:

كما في قول الشاعر:

بأن رسول الله فينا مصدق

فالمعنى صادق، ليؤدي الشاعر به الجمع بين تحقق الصدق في المتكلم وتحقق أثره في المستمع، وذلك أن الصادق لا يشترط فيه أن يصدقه من سمعه لأمر يعود إلى السامع، أما المصدّق فإن دلالة الصيغة -بما فيها من التضعيف الدال على بلوغ الغاية في الحدث، واعتياده في كل أمره- تلزم أن يكون السامع مقرًّا بكلام المتكلم، فيتحقق الأمران الصدق والتصديق.

- ومنه أن يجمع الشاعر بين اسم الفاعل واسم المفعول للدلالة الحقيقية لكل واحد منهما، كما في قول الشاعر: راحم مرحوم، فالراحم تقع رحمته على غيره، أما المرحوم فهو من تقع عليه الرحمة.

- صيغ المبالغة:

ورد في وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يمدحوه بصيغة المبالغة، ومعلوم أن المبالغة تدل على القوة في الحدث المتضمنة له هذه الصيغة، ومنه قولهم: صدوق للمبالغة في صدقه، بل والمبالغة في تحريه في أقل الكلام. كما في قول رافع بن عميرة لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم:

فألفيت النَّبِي يَقُول قولا صَدُوقًا لَيْسَ بالْقَوْل الكذوب[١١٤]

فقد وجد النبي يقول القول الصدوق وعبر بصيغة المبالغة ليدل على شدة تحري الصدق وظهوره فيه، ثم أردفه في الشطر الثاني بضد هذا المعنى من نفي الكذب، وعبر فيه أيضًا بصيغة المبالغة، ليؤكد معنى الصدق فيه، وعبّر بالصيغتين للمبالغة في طريقة الضدية ليؤكد المعنى المراد، من بُعد المقصود أشد البعد من ضده.

رابعًا: الصور والتشبيهات:

تقل الصور الفنية في شعر المديح عند المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم في الأبيات موضع البحث، وهي تقل خاصة في الأبيات التي تحمل المعاني المدحية نفسها، غير أننا نذكر هنا ما كان من صور في أبيات معاني المدح وفي المقطعات أو القصائد التي اجتزئت منها هذه الأبيات باعتبارها كلاً متكاملاً. ولكننا لا نعدم التشبيهات والاستعارات التي لا ترقى إلى الصور الفنية المتكاملة، بل هي صور جزئية...

ومن التشبيهات ما وجدناه في قول كعب: كأنه البدر لم يطبع على الكذب

[١١٤] الحماسة المغربية: ٩٥/١

فهذا تشبيه له صلى الله عليه وسلم بالبدر، ولكنه خصص هذا البدر بقيد في التركيب، ليصور حاله في صورة أعمق بأنه قد جبل على الصدق، فوجه الشبه بينه وبين البدر أن كليهما صاف نقي، فكما ترى في البدر هذه الصورة النقية وهذه الراحة النفسية التي تحصل للمرء بالنظر إليه، وهو أيضا لا يخدعك بظهوره فرؤيته حق وصدق، لا يخلفك ميعاد ظهوره –كذلك رسول الله؛ فمزج بين هذه المعاني الحسية والمعنوية في طريق من التشبيه غير قريب مستساغ، أو بعيد مبتذل.

ومثله قول حسان: "يا من يجود كفيض بحر زاخر" حيث شبه كرم الممدوح بالبحر في فيضه.

ومثلها: (فَسَارُوا وَسِرْنَا فالتَقَيْنَا كأنَّا أُسُودُ لِقاءٍ لا يُرَجَّى كَلِيمُهَا) فالتشبيه بالأسود التي لا يبرأ من أصابته. ومنه: (إذا راح كالسيف الصقيل المهند).

(وكأنهم أسد العرين أردن ثم عراكا) تشبيه لأصحاب النبي الذين يعيشون في كنفه بالأُسد التي تحمي عرينها.

ومما جاء في تشبيه العدو ما قاله حسان: (فولوا سراعًا كوخد النعام) فشبههم في سرعة الهرب بمن يسيرون بخطى واسعة كسير النعام يلقون بأرجلهم ليسابقوا خطوهم.

ومن التشبيه البليغ: فنجاره ذهب، حيث شبه أصوله بالذهب، وكأنه يقصد هذا الجذر الذي يخرج منه بالذهب فما بالكم بمن كان كان أصله الذهب، فوضع صورة للمعنوي بأبهى المحسوسات وهو الذهب. ومنه: (كنا الأسود وكانوا النمر) فشبه صحبه بالأسود وشبه العدو بالنمر، فهم لا يلاقون

من هم أقل منهم شجاعة وقوة، بل هم أقرانهم في القوة والشجاعة، وإن كانوا أقل منهم، فالسيادة للأسود.

ومنها، قول حسان: "آنست للأسد فيها زئيرًا" من الاستعارات التصريحية، حيث شبه ساكني المدينة بالأسود، وحذف المشبه، وهو الصحابة، وعبر بالمشبه به، وهم الأسد، واستخدم لفظ الزئير ليدل على حالة التأهب والاستعداد لكل من يفكر في الاعتداء على عرينها.

ومنها: "يؤمون نهرًا لا نزورا ولا صربا" فشبه الممدوح بالنهر، وحذفه وأبقى على المشبه به، مبينًا صفة هذا النهر من كونه لا يقل ولا ينقطع.

ومن الاستعارات المكنية: إنا نؤمل عفوًا منك تلبسه هذي البرية... فقد شبه العفو بالرداء الذي يكسو به البرية كلها، فيكون حصنًا لها من العقاب اللاحق بالمتعدي، وحذف المشبه به، ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو الفعل "تلبسه".

وقول الشاعر: (بنى عليك محبة) شبه المحبة بالصرح العالي، وحذف المشبه به، ودلّ عليه بشيء من لوازمه، وهو الفعل (بنى) الذي يدل على الاستقرار والثبوت، فكأن المحبة شيء لازم قد لازمه، لا ينفك عنه.

وقول أبي عزة الجمحي: (بوئت فينا مباءة لها درجات...) شبه مرتبة النبي ودرجته بالمنارة العالية التي لها درجات تصعد وتمتد في صعودها حتى تصل إلى رأسها، وهي مع ذلك درجات سهلة الصعود، وحذف المشبه به وهو هنا المنارة أو الصرح، ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو الدرج؛ ليصور لنا حال التواضع التي فيها النبي صلى الله عليه وسلم، فليست مرتبته بالصرح الذي لا يرقى، بل يستطيع رقيه كل من أطاعه...

ومن الصور المتعددة قول الشاعر: (أبيض مثل البدر ينمي صعدا... في فيلق كالبحر يرمي مزبدا) فقد عبر عنه بالبياض والبهاء كأنه البدر الذي يتنامى زائدًا مرتفعًا، وهذا البدر الذي يرتفع إنما يرتفع وسط أصحابه الذين شبههم بالبحر، وما يرمون من ضربات وربما ما يثيرون من غبار، كأنه زبد هذا البحر من كثرة ما يرمون من ضربات.

ومثلها قول الشاعر: (وإذا الكتيبة عردت أنيابها...فكأنه ليث على أشباله) ومن الكنايات: قول الشاعر: (سبط البنان) كناية عن السخاء والكرم. وقوله: (يمشون تحت لوائه" كناية عن الاتباع والخضوع. وقوله: (يابن الأكرمين الأطايب) كناية عن طيب الأصل. وقوله: (أخا ثقة) كناية عن الملجأ والملاذ. وقوله: (هوى لمنخر سوء) كناية عن الذل الذي أصاب الموصوف به، والمعروف أن المنخر يطلق على مكان الفخر والكبرياء من الرجل.

المحسنات البديعية:

يكثر أن يأتي الشاعر في كلامه بما يزينه في أسماع المخاطبين، وذلك بأنواع مختلفة من المحسنات البديعية، ومنها حسن التقسيم:

يقول حسان:

فمن كان أو قد يكون كأحمد نظامًا لحق، أو نكالًا لمفسد

فتجده قد قسم الشطر الثاني في صورة إيقاعية، متساوية في الألفاظ، متخالفة المعاني.

وفيه أيضًا نوع من المقابلة التي تستوفي المعنى حقه استيفاء النقيضين، فتجليه في أبهى صوره.

ومنه عند حسان:

يَــا ركــن معتمــدٍ وعصــمة لائــذٍ ومــلاذ ممتنــعٍ وجــار مجــاور

ومن حسن التقسيم ما نجده في الشطر الأول من قول كعب بن مالك:

الحــقُّ مَنْطِقُــهُ وَالْعَــدْلُ سِــيرَتُهُ فَمَــنْ يُجِبْــهُ إِلَيْــهِ يَــنْجُ مِــنْ تَبَــبِ

ومنه:

وَعَلَيْــك مــن ســمة المليــك عَلامَــة نــورٌ أغــر وَخَــاتم مختــوم[١١٥]

ومن المحسن البديعي في بيت أبي طالب ما يسمونه حسن النسق، وهو أن يذكر للشيء صفات متوالية كقوله تعالى: (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر)، يقول أبو طالب[١١٦]:

وَأَبْــيَضَ يُسْتَسْــقَى الْغَمَــامُ بِوَجْهِــهِ ثِمَــالَ الْيَتَــامَى عِصْــمَةً لِلأَرامِــلِ

---

[١١٥] ابن الزبعرى: الديوان، ص٤٦

[١١٦] ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٩ – ١٩٦٩م، ١٣٢/٦.

خامسًا: بناء القصيدة:

الجانب الشكلي في أبيات المدح:

تنوعت أبيات المديح التي ضمنتها مختارات الحماسة بين المقطعات والقصائد، وقد غلب على هذه الأبيات كونها من شعر المقطعات، وما علا منها إلى القصائد فهو مقارب في حد أبياته بالمقطعات، فرأينا كثيرًا من القصائد التي ضمنت أبيات المدح بين السبعة أبيات أو الثمانية أو التسعة... والمقطعات منها تصل تقريبًا إلى سبع عشرة مقطعة، والقصائد منها تصل إلى اثنتين وعشرين قصيدة.

وقد وجدنا أن القصائد والمقطعات –على السواء– المضمنة لأبيات المديح قد خلت من البنية الشكلية المتعارف عليها في القصيدة من قبل، وأن هذه المقدمات المعروفة من ذكر الطلل، والظعينة، والغزل، ووصف الرحلة والناقة،... قد جعلت لتعبر عن حالة نفسية متكاملة من الهدوء أو الاضطراب، احتاج الشاعر إلى ديباجتها وثقلها على طريقة مخصوصة لتبين هذه الحال، وهي في الوقت نفسه مفقودة في شعر الموقف الذي تعبر عنه أبيات البحث الذي بين أيدينا؛ إذ إن ما أهاج الشعر من هذا النوع هو توحّد المثير توحّدًا في جهة لا يرى الشاعر فيه غيره، وليس تعدده ومن ثم محاولة بنائه ككل متكامل في القصائد الطوال التي عهدناها بالمقدمات. وإذا كان تفسير بعضهم –خاصة عند القدماء في قصيدة المدح– بأن هذه المقدمات قد جعلت فقط "لاستهداف المخاطب والتأثير فيه"[١١٧] وهذا لا يكون إلا في صورة تكاملية من المثيرات مع التوليف بين أجزاء المقدمات المعروفة، فإن استهداف

[١١٧] عبد الحليم حفني: مطلع القصيدة العربية ودلالتها النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص٦٣

المخاطب والتأثير فيه في شعر موضوع البحث يكون من باب أولى بعدم ذكرها؛ إذ الولوج إلى الموضوع ذاته، واستهداف الممدوح مباشرة قد يكون له الأثر الأبلغ في استهداف المخاطب.

وربما وافق ما ذكرت هنا مطلع القصيدة في أبيات المدح فوجدنا كثيرًا منها قد افتتح بالخطاب المباشر إلى الممدوح، مع التنويع في صور الخطاب بين الجملة الخبرية والإنشائية...

فممن وجه الخطاب للنبي بالجملة الخبرية عبد الله بن رواحة، يقول:

إِنِّـي تَفَرَّسْـتُ فِيـكَ الْخَيْـرَ أَعْرِفُـهُ وَاللهُ يَعْلَـمُ أَنْ مَـا خَـانَنِي الْبَصَـرُ[١١٨]

وقول مازن بن الغضوبة:

إِلَيْـكَ رَسُـول الله خبـت مطيتـي تجـوب الفيـافي مـن عمـان إِلَـى العـرج

أو الخطاب الإنشائي بفعل الأمر كقول زهير بن صرد:

أُمْـنُنْ علينـا رَسُـول الله فِـي كـرمٍ فَإِنَّـك الْمَـرْء نرجـوه وننتظـر

أو الخطاب بفعل الأمر للمخاطب العام دون تحديد كقول كعب بن مالك:

سَـائِلْ قُرَيْشًـا غَـدَاةَ السَّـفْحِ مِـنْ أُحُـدٍ مَـاذَا لَقِينَـا وَمَـا لَاقَـوْا مِـنْ الْهَـرَبِ

وأكثر ذلك فيما قاله العباس بن مرداس، فتوجه بالنداء مخاطبًا النبي:

يَـا خَـاتَمُ النُّبَـآءِ إِنَّـكَ مُرْسَـلٌ بِـالْحَقِّ كُـلُّ هُـدَى السَّـبِيلِ هُـدَاكَا

---

[١١٨] عبد الله بن رواحة: ديوانه، ص١٥٩. الجرّاوي: الحماسة المغربية، ٤٩/١

وقوله:

يَـا أيّهـا الرَّجُـلُ الَّـذِي تَهْـوِي بِـهِ وَجْنَـاءُ مُجْمَـرَةُ الْمَنَاسِـمِ عِـرْمِسُ

وقول ابن الزبعرى:

يَـا رَسُـولَ الْمَلِيـكِ إنَّ لِسَـانِي رَاتِـقٌ مَـا فَتَقْـتُ إذْ أَنَـا بُـور

وقول أنس بن زنيم:

وَأَنـت الَّـذِي تهـدي معـد لأَمـره بـل الله يهْـدِيهم وَقَـالَ لَـك اشْـهَدْ

وقول لبيد:

أَتَيْنَـاك يـا خيـر الْبَريَّـة كلهَـا لترحمنـا مِمَّـا لَقينَـا مـن الْأَزَل

ومنه طلب المخاطب كما في قول العباس بن مرداس:

فَمـن مبلـغ الأقـوام أَن مُحَمَّـدًا رَسُـول الْإِلَـه راشـدٌ حَيْـثُ يممـا

وقول أبي عزة الجمحي:

فَمـن مبلـغٌ عنـي الرَّسُـول مُحَمَّـدًا بأنـك حـقٌ والمليـك حميـد

ونلحظ كذلك تميز بعض هذه الأنواع بسمات للمطلع، فقصيدة الاعتذار غالبًا ما تأتي وقد صقلها الشاعر، واعتنى بها عناية خاصة، فهي في نظره سبيله للحياة، فكان اهتمامهم بها من ناحية الشكل ما لم نجده عند غيرهم من الفئات، وأول ما نلحظه من هذا الاهتمام أن وجدنا الاهتمام بتصريع المطلع، فها هو كعب بن زهير قد أعد قصيدته الخالدة في ذلك مفتتحًا إياها:

بانت سعاد فقلبي...

وهذا ابن الزبعرى من أشهر المعتذرين يهتم بالتصريع:

مَنَـــعَ الرُّقَـــادَ بَلَابِـــلٌ وَهُمُـــومُ واللَيْـــلُ مُعْـــتَلِجُ الـــرِّوَاقِ بَهِـــيمُ[١١٩]

أو في الأخرى:

ســـرت الهمـــوم بمنـــزل الســـهم إذ كـــن بـــين الجلـــد والعظـــم[١٢٠]

وأما ما نلحظه على قصـــيدة الأحناف وشـــعر الدليل، فهو اهتماهم البالغ بالجانب السردي، حتى لتجد القصيدة أو المقطعة وكأنها قصة شعرية، ظهر ذلك جليًّا في شعر رافع بن عميرة مكلم الذئب:

رعيـــت الضَّـــأن أحميهـــا بكلبـــي مـــن اللصـــت الْخَفـــي وكـــل ذيـــب

فَلَمَّـــا أَن سَـــمِعت الـــذِّئْب نَـــادَى يبشـــــرني بِأَحْمَـــــد مـــــن قريـــــب

ســـعيت إِلَيْـــهِ قـــد شـــمرت ثـــوبي عَـــن السَّـــاقَيْن قاصـــدة الركيـــب[١٢١]

فبدأ الراوي بضمير المتكلم ليحكي حدث رعيه الغنم، وشخوص الحكاية هذه الأغنام، والذئب، والشاعر، والشخص غير الحاضر في الأحداث (وهو النبي صلى الله عليه وسلم) وكيف بشره الذئب بقدوم النبي، فهمّ وسعى إليه مؤمنًا بما جاء به، حتى غمره النور والضياء من كل جانب.

---

[١١٩] سيرة ابن هشام ت السقا (٢/ ٤١٩)

[١٢٠] الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٠٣)

[١٢١] الحماسة المغربية (١/ ٩٤)

وكذلك في شعر سواد بن قارب:

أَتَــانِي نجيــي بعــد هــدءٍ ورقــدةٍ وَلـــم يَـــك فِيمَـــا قـــد بلـــوت بكـــاذب

ثَــلَاث ليــالٍ قَوْلــه كــل ليلــةٍ أَتَـــاك نَبِـــي مـــن لـــؤَي بـــن غَالـــب

فَرفعــت أذيــال الْإِزَار وشــمرت بِــي العــرمس الوجنــاء حــول السباســب[١٢٢]

أو في شعر سراقة:

أَبَــا حكــم وَالله لَــو كنــت شَــاهدا لأمـــر جـــوادي إِذْ تَسُـــوخ قوائمـــه[١٢٣]

وعند الأحناف نجد أبا قيس صرمة بن أبي أنس يحكي لنا قصة متكاملة عن طريق الراوي الغائب:

ثَــوَى فِــي قُــرَيْشٍ بِضْــعَ عَشْــرَةَ حِجَّــةً يُـــذَكِّرُ لَـــوْ يَلْقَـــى صَـــدِيقًا مُوَاتِيَـــا

ويعــرض فــي أهــل المواســم نفســه ..... [١٢٤]

فاستخدام الماضي (ثوى) ثم قيده بالمضارع (يذكر، ويعرض) ثم عاد للحكي بالماضي (لَمَّا أَتَانَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ/ فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا / وَأَلْفَى صِدِّيقًا وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ النَّوَى/ وَكَانَ لَهُ عَوْنًا/ بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ/ فَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى/ بَذَلْنَا لَهُ/...)

وعند ورقة فقد سرد قصته باستخدام الرواي المتكلم:

---

[١٢٢] الحماسة المغربية (١/ ٧٨)

[١٢٣] الحماسة المغربية (١/ ٨٣)

[١٢٤] سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٥١٢)

لَجَجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرَى لَجُوجًا لِهَمٍّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا

وَوَصْفٌ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا

بِبَطْنِ الْمَكَّتَيْنِ عَلَى رَجَائِي حَدِيثَكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجًا[١٢٥]

والخلاصة في ذلك أن بنية شعر المديح هنا قد وافقت المثيرات التي أثارتها، وكذلك مطالع القصيدة أو المقطعة قد التحمت مع هذا المثير الخاص بها، فمثير الخوف من العقاب ظهر في الاهتمام بالشكل الشعري، والمطلع كذلك. ومثير موافقة الدليل ظهر في الجانب السردي للشعر الذي ظهر فيه أحداث، وشخوص، وزمان، ومكان،...

الجانب الموضوعي في أبيات المديح:

قد رأينا أن شعر المادحين بالقصائد والمقطعات يتحمل موضوعًا واحدًا أو اثنين –باستثناء القصائد الطوال للنابغة الجعدي، وكعب بن زهير، وأبي طالب بن عبد المطلب– ومن ذلك أن شعر مدح الأصحاب كان موضوعه الرئيس الفخر بالمسلمين، والفخر بنصر الله، والرد على المشركين، مع تضمين أبيات المدح في أثنائه.

ولعل هذه السمة قد اتخذت مسارًا آخر في قصيدة المدح عند الأصحاب، وخاصة عند كعب بن مالك، فأثرت في جانب الشكل تبعًا للتدرج الموضوعي في المدح، أو لنقل التنوع المدحي، فنجد كعب بن مالك يمدح المسلمين عامة ثم يتجه بعدها لمدح النبي صلى الله عليه وسلم، والحقيقة أن مدح المسلمين إنما يراد به عنده مدح النبي لأنه زعيمهم.

[١٢٥] سيرة ابن هشام: (١/ ١٩١)

فهذا كعب بن مالك يمدح المسلمين وقت المعركة، لكنه قبل ذلك يذكر زعامته صلى الله عليه وسلم، فهذه الشجاعة التي فيهم إنما هي في زعيمهم الذي يقودهم، يقول: [من الطويل]

أَلا هَل أَتَى غَسَّـان فِي نَأْيِ دَارِهَا وَأَخْبَرُ شَيءٍ بِالأُمُـــــورِ عَلِيمُهَا

بِأَنْ قَـدْ رَمَتْنَا عَنْ قِسِـيٍّ ضَوَامِرٍ مَعَدٌّ مَعًا جُهَّـــــالُهَا وحَلِيمُهَـــا

لأَنَّـــا عَبَدْنَـــا اللهَ لَـــمْ نَرْجُ غَيْرَهُ رَجَاء الْجِنَانِ إِذْ أَتَانَا زَعِيمُهَا(١٢٦)

وهذه طريقة كعب في مدحه غالبًا، لكنه قد يؤخر ذكره عليه الصلاة والسلام، يقول: [من البسيط]

سَائِلْ قُرَيْشًا غَدَاة السَّفْحِ مِنْ أُحُدٍ مَـــاذَا لَقِينَا وَمَـــا لَاقَـــوْا مِنَ الْهَرَبِ

كُنَّا الْأُسُـودَ وَكَانُوا النُّمْرَ إِذْ زَحَفُوا مَـــــا إِنْ نُرَاقِـــــبْ مِنْ إِلٍّ وَلَا نَسَبِ

فَكَمْ تَرَكْنَـــا بِهَا مِن سَيدٍ بَطَـلٍ حَـامِي الـذِّمـارِ كَرِيم الْجدِّ وَالْحَسَـــبِّ

فِينَا الرَّسُولُ شِهَـــابٌ ثَمَّ يَتبَعُهُ نُورٌ مُضِيء لَهُ فَضلٌ عَلَى الشُّهُبِ١٢٧

ومثل هذا عنده قوله: [من الوافر]

قَضَـينا مـنْ تِهَامَـة كُـلَّ رَيْـبٍ وَخَيْبَـــرَ ثـــمَّ أَجْمَنَـــا الســـيوفَا

(١٢٦) الديوان: ٢٦٦-٢٦٧، (سيرة ابن هشام: ٢٥/٢) (الروض الأنف: ٢٤٦/٥)

(١٢٧) الديوان: ص١٧٤، (سيرة ابن هشام: ١٦١/٢) (الروض الأنف: ١١٣/٦) الحماسة المغربية: ٥٣/١، سبل الهدى والرشاد: ٤/ ٢٣٧)

نُخَيرِّهَـــا وَلَـــوْ نَطَقَـــتْ لَقَالَـــتْ قَـــــواطِعُهنَّ دَوْســـــاً أَوْ ثَقيفَـــــا

أَجَـــدَّهم أَلَـــيْسَ لَهُـــمْ نَصـــيحٌ مـــنَ الأَقـــوامِ كَـــانَ بِنَـــا عَرِيفَـــا

يُخَبِّـــرهُمْ بِأَنَّـــا قَـــدْ جَمَعْنَـــا عتـــاقَ الْخَيْـــل والنُّجُـــبَ الطُّروفَـــا

رَئيســـهُمُ النَّبِـــيُّ وَكَـــانَ صُـــلْباً نَقِـــيَّ الْقَلْـــبِ مُصْـــطبراً عَزوفَـــا

نُطيـــعُ نَبيَّنَـــا ونُطيـــعُ رَبَّـــا هُـــوَ الـــرَّحْمَن كَـــانَ بِنَـــا رَؤوفَـــا[١٢٨]

وكذلك كانت قصيدة المعتذرين تحمل موضوع طلب العفو، والتعبير عن هذا الموضوع وفق ثنائية العجز والقدرة التي أوضحناها عند أنس بن زنيم، خاصة عندما يذكر أولاده وحاجتهم، إن هو مات، وهو من يعولهم، يقول:

سِوَى أَنّنِي قَدْ قُلْت يَا وَيْحَ فِتْيَةٍ أُصِيبُوا بِنَحِسِ يَوْمَ طَلْقٍ وَأَسْعَد[١٢٩]

وأما قصيدة الاستنصار، وهي التي طلب فيها عمرو بن سالم الخزاعي نصرة رسول الله، فقد حملت موضوعًا واحدًا أيضًا من طلب النصرة، مع ذكر أحداث ما وقع لخزاعة من قريش.

---

[١٢٨] الديوان: ٢٣٤، الواقدي: المغازي، ٨٠٢/٢، (سيرة ابن هشام: ٤٧٩/٢) (ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، مكتبة الخانجي، مصر، (١/ ٢٢١) (زهر الآداب: ١/ ٦٥) (الروض الأنف: ٣٣٢/٧) الإملاء المختصر في شرح غريب السير، ص٤٠٧، الحماسة المغربية: ٥٤/١

[١٢٩] مغازي الواقدي (٢/ ٧٩٠)

وفي قصيدة الأحناف وأصحاب الخلفية الفكرية كان الموضوع في الدليل، وموافقته للواقع، في ربطٍ بين أبعاد الزمن؛ ما كان، وما هو واقع، وما سيكون.

أما قصيدة الأقارب فحملت موضوع الاستعطاف، ومزجه بالخوف على النبي.

نوع القصيدة أو المقطعة	الموضوع
المدح للمدح	الفخر/ الرد على المشركين
الاعتذار	طلب العفو
الأحناف	موضوع الدليل
الأقارب	الاستعطاف
طالبو العطية	النظر لما في يد الممدوح وليس

وربما كان السبب في عدم التعدد الموضوعي الذي عهدناه في غير هذا الشعر من قبل هو أن هذا الشعر –القصيدة منه والمقطعة– كان وليد الموقف، وكان أغلبه ارتجالاً.

سادساً: الموسيقى

يرى كثير من النقاد أن الوزن الشعري يرتبط بالغرض الشعري، وأن أوزانًا معينة جعلت لأغراض خاصة. ربما يتفق هذا مع بعض هذه الأغراض، أو كثير منها، ولكنّا لا يمكن أن نأخذ بهذه الآراء على عمومها، لأنها لا ترجع

إلى تحليل دقيق لكل قصائد الشعر العربي، أو إلى حصر الأغراض جميعها، فضلاً عن أن كثيرًا من هذه القصائد ربما جاءت مبتورة...

ويرى محمود سالم أن "قصائد المدح تحتاج إلى وزن طويل كثير التفاعيل، يسمح بالإسهاب والإطناب، والذهاب في القول كل مذهب، غير أن هذا الأمر لم يكن مطردا في المدح النبوي، فمادحو النبي الكريم استخدموا الأوزان الرشيقة الخفيفة مثل استخدامهم للأوزان الطويلة"[١٣٠]

وهذا القول ينطبق تمامًا على قصائد المديح النبوي في الحماسة[١٣١]؛ حيث جاء على الطويل منها اثنتان وعشرون قصيدة، في حين كان البسيط في ست قصائد. أما الكامل فكان في ثمانية قصائد في المرتبة الثانية، وهو من البحور الخفيفة وقد زادت نسبته عن البسيط مع كون البسيط من البحور الطويلة بالنسبة له، ومما جاء على هذه البحور الرشيقة؛ الوافر والرجز، فجاءت على الوافر في أربع مرات، وعلى الرجز في مرتين، أما المتقارب والخفيف والمنسرح فمرة واحدة لكل واحد منها.

ولكني لست أرى أن الغرض العام هو الذي يحكم للشاعر الوزن، بل الأولى من ذلك أن نقول: إن مضمون ما يريد أن يعبر عنه الشاعر هو الذي يحكم هذا، والأولى من ذلك أيضًا أن نقول: إن الثيمة الأساسية في القصيدة

---

[١٣٠] محمود سالم محمد: المديح النبوي حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٧ هـ، ص٣٦٢

[١٣١] أحصيت بحور المدح النبوي في الحماسة المغربية فوجدتها كالتالي:

الطويل	الكامل	البسيط	الوافر	الرجز	المتقارب	الخفيف	المنسرح
22	**8**	**6**	**4**	**2**	**1**	**1**	**1**

هي التي تحكم البحر الذي تركبه القصيدة، بل توافق هذه الثيمة مع الغرض، وربما حال المتلقي... كل هذه الأمور هي التي ينبغي أن ننظر إليها في رد الموضوع إلى الوزن أو الوزن إلى الموضوع.

وإذا اتفقنا مع المذكور من قبل من أن كثرة التفعيلات تناسب المدح، فإن هذا يتفق مع المدح فيما قبل الإسلام، أو فيما لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن الثيمة الأساس في ذلك هي فرط الرغبة في الممدوح، وفرطها نفسه هو ما أدى إلى اتساع الموضوع، ومن ثم طلب الوزن ذي التفعيلات الكثر. ولا يتفق مع المدح النبوي في صدر الإسلام؛ إذ رأينا أنّ هذا المدح لم يوسعوا في معانيه ما وُسع فيها من قبل، فاقتصروا في المعاني المدحية على أقل القليل، لأسباب دينية ومجتمعية في ذلك الوقت.

فإن قيل فما الداعي إذن لتخير الأوزان الطويلة وهم لم يوسعوا ويعمقوا معانيهم؟ قلنا: السبب في ذلك كما أشرنا راجع إلى الثيمة، وليس الغرض. فهذا أبو طالب عم النبي سيطرت عليه ثيمة أساسية وهي الخوف والاستعطاف، فالخوف على ابن أخيه صاحبه استعطاف بذكر خصاله الطيبة ليذكر بها قومه، حتى يعودوا إلى عقولهم... كل هذا مما يحتاج إلى بسط، وكأنه يعرض لقضية ما، فيقدم الحجج والبراهين، ثم يترك في النهاية الأمر لكل ذي عقل رشيد ليطلق الحكم على قضيته.

لذا وجدنا ما ذكر من شعر أبي طالب في الحماسة من قصائد جاء على بحر الطويل لتحمل لنا كل ما يريد أن يوصله إلى قومه، فكانت متسعًا لشعره.

ومن موافقة الثيمة للوزن أنا وجدنا قصيدة عمرو بن سالم الخزاعي على الرجز، وليست وحدها من المختارات المدحية في الحماسة، بل معها

مقطعة أخرى للهب بن مالك. ومن أشهر ما قيل في الرجز أنه أول البحور، وأنه الذي يتغنى به الحادي، يحدو للإبل فيحثها على السير... ولعل اختيارهم هذا البحر لتغني الحادي لخفته ورشاقته، وعلو طربه، لذا كانت أغنيات الحادي مما يذيع وينتشر. أما حث الإبل على السير، فلما فيه من تتابع لسببين خفيفين يتلوهما وتد مجموع، لا نكاد نصله حتى يهجم علينا السببان الخفيفان مرة أخرى، وهكذا... في إشارة إلى سرعة الإيقاع.

وإذا عدنا إلى ما ورد من أراجيز في المدح وجدنا الأولى لعمرو بن سالم الخزاعي وقد جاءت تحثُّ النبي على نصرة خزاعة، فكأن كل شطر فيها يحث على النصرة...

يارب إني ناشد محمدًّا

حلف أبيه وأبينا الأتلدا

.....

فطالبُ النصرة يحتاج إلى ما يسعفه من نظام صوتي إيقاعي غير ثقيل، ولا مستهجن. ومثله ما كان من لهب بن مالك الذي راح يحث قومه على النجاة:

أرى لقومي مَا أرى لنَفْسي...

أَن يتبعوا خير نَبِي الْإِنْس...[١٣٢]

[١٣٢] الحماسة المغربية (١/ ٩٦)

لذا فإن الرجز يحمل نوعًا من الخطابية والإعلامية؛ لهذه الخفة، وتلك الرشاقة، وهذا التتابع بين أجزائه، وكأنه أراد أن يوصل رسالته بأسرع ما يصل به الكلام.

وممن استهوته هذه العلاقة بين الموضوع والوزن الدكتور عبد الله الطيب حيث يرى مثلاً أن بحر المديد فيه صلابة ووحشية وعنف[١٣٣] وإن كنت لا أميل إلى هذا الرأي، لأن الشاعر قد ينظم على البحر الواحد وتغمره الرقة والليونة، وعلى البحر نفسه وتدفعه الغلظة والوحشية وربما الانتقام... قلت لا أميل لهذا الرأي إلا أنه هنا يوافق ما جاءت به قصائد الحماسة في مديح النبي، فلم نجد قصيدة أو مقطعة على هذا البحر، لمخالفة الموضوع لما يدل عليه البحر. وعلى الرغم من ذلك فإن حازم القرطاجني قد رأى في هذا البحر وفي الرمل معه لينًا وضعفًا[١٣٤]... فربما كان عدم وجود قصائد أو مقطعات على هذين الوزنين دليل على ما فيهما من ضعف ولين، وهما لا يستقيمان مع موضوعات المدح. فكان الأخذ بلينهما وضعفهما أولى من الأخذ بصلابتهما ووحشيتهما.

ومن الآراء حول البسيط أنه ذو طبيعة بدوية، فقد عمد إليه طرفة في الفخر والاستنفار في معلقته، ولجأ إليه جميل بثينه في صرخاته، والفرزدق

---

[١٣٣] عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الآثار الإسلامية، الكويت، ط٢، ١٩٨٩م، ٩٣/١

[١٣٤] منهاج البلغاء: ٢٥٩

في التعبير عن طبيعته البدوية العنيفة[١٣٥] وهذا الرأي موافق لما نحن فيه من ناحية الفخر فقط لا غير، فهذا كعب بن مالك في قصيدته في يوم أحد:

سَائِلْ قُرَيْشًا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ أُحُدٍ... مَاذَا لَقِينَا وَمَا لَاقَوْا مِنْ الْهَرَبِ

فهم وإن هزموا إلى أن الغالب على هذه القصيدة فخر الشاعر بشجاعة المسلمين، وبإمامة النبي لهم، أما جانب البداوة فيها فلا يظهر، وشعره هذا من أرق الشعر وأعذبه، لا تظهر فيه البداوة أو الغرابة أو ما يشابههما. كذلك لا نجد هذه البداوة في قصيدة حسان:

يَـا ركـن معتمـدٍ وعصـمة لائـذٍ ومـلاذ ممتنـعٍ وجـار مجـاور

ولا نجدها مطلقًا في أبيات عبد الله بن رواحة:

إِنِّـي تَفَرَّسْـتُ فِيـكَ الْخَيْـرَ أَعْرِفُـهُ وَاللهُ يَعْلَـمُ أَنْ مَـا خَـائِنِي الْبَصَـرُ[١٣٦]

وكذلك وجدنا من هذه القصائد مقطعة واحدة لحسان على المتقارب، وموسيقى المتقارب على نغمة واحدة لا نجدها تمد في علوها ولا تسترخي في هبوطها، بل تعلو علوا واحدًا يتبعه هبوط واحد، ونغمته توافق نغمة السخرية والاستهزاء من المخاطب، يقول:

---

[١٣٥] ماهر حسن فهمي: عمر بن أبي ربيعة ونزار قباني، دراسة في فن الموازنة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧١م، ص١٤٩

[١٣٦] عبد الله بن رواحة: ديوانه، ص١٥٩. الجرّاوي: الحماسة المغربية، ٤٩/١.

أَظَـــنَّ عُيَيْنَـــةُ إِذْ زَارَهَـــا بِـــأَنْ سَـــوْفَ يَهْـــدِمُ فِيهَـــا قُصُـــــــــــــــــــــورًا

فالسخرية من فعل عيينة كانت الدافع وراء استخدام هذا البحر الذي تنتهي تفعيلته بسبب خفيف، يقف وقفة خفيفة على اسم المستهزء به، وعلى الظرف الماضي المتضمن للفعل الموجب للسخرية.

وفي المقطعة نفسها تتحول الثيمة من السخرية إلى المدح، فنجد هذه الوقفة الخفيفة بانتهاء قوله: (رسول)، وفي أثناء (علينا) مما يوحي بالتركيز على أهمية الموقوف عليه.

وإذا نظرنا إلى القصائد موضوع البحث وجدنا منها على الوافر أربعة قصائد، وجميعها يحمل ثيمة أخرى غير المدح، وذاك أنه قد غلب عليها الطابع القصصي للحوادث الماضية، مع التعبير عن الانفعال الذاتي الذي ظهر واضحًا في استخدام ضمير المتكلم الجمعي والفردي. فهذا كعب بن مالك يحكي ما وقع حين أجمع النبي السير إلى الطائف:

قَضَـــيْنَا مِـــنْ تِهَامَـــةَ كُـــلَّ رَيْـــبٍ وخيبـــر ثـــمَّ أجممنـــا السُّـــيُوفَا

أو قصيدة حسان التي أنشدها يوم فتح مكة:

عَـــدِمْنَا خَيْلَنَـــا إِنْ لَـــمْ تَرَوْهَـــا تُثِيـــرُ النَّقْـــعَ مَوْعِـــدُهَا كَـــدَاء

ومثل هذا الطابع القصصي في حكاية رافع مكلم الذئب:

رعيـــت الضَّـــأن أحميهـــا بكلبـــي مـــن اللصـــت الْخَفـــي وكـــل ذيـــب

وفي قصيدة ورقة بن نوفل:

لَجَجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرَى لَجُوجًا لِهَمٍّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا

ونلحظ في القصائد الأربعة أن فيها روحًا من الفرح، يمثل أثرًا ظاهرًا لانفعال الشاعر، فالفرح بنصر الله يوم فتح مكة عند حسان، والفرح بالتوجه إلى الطائف تحت إمرة النبي صلى الله عليه وسلم عند كعب، والفرح بموافقة الدليل كما عند رافع أو ورقة بن نوفل. والوافر من البحور التي تعلو نغمتها الموسيقية حتى إن الجماعة لتنشدها متناسقة متناغمة دون شذوذ واحد منها، أو نشوذ فيها، فناسب ذلك ما كان من سرد ومن تعبير الفرح.

ومما يؤكد أن ثيمة الفرح هذه قد غلبت على ركوب البحر الوافر أن من القصائد ما حمل الطابع القصصي لكنه لم يأت على الوافر، وهي قصيدة أبي قيس صرمة التي فيها:

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيَا

لكن الطابع هنا عكس ما كان في سابقه، فالحالة هنا تعبير عن حزن وأسى لما تعرض له النبي في مدة دعوته، فضلًا عن كونه موجهًا للغائب المفرد. فجاءت على الطويل وهذا مما يوافق إحصاءات الدكتور إبراهيم أنيس الذي يرى في الطويل حالة من الحزن أو اليأس[١٣٧]. ويوافق أيضاً إحصاءنا حيث ورد الطويل في مادة البحث إحدى وعشرين مرة، لكنه لا يخضع لحالة الحزن في جميعها، بل نراه مع الفخر أحيانًا، ومع الموضوع الواسع الذي يحتاج إلى بسط وهدأة في النفس حتى يعرض على الوجه الأكمل.

[١٣٧] إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ص١٧٥

ومثل هذا الربط بين الموضوع والوزن نراهم يربطون بينه وبين القافية، فحددوا رويًّا أو أكثر للموضوع الواحد، فحازم القرطاجني يرى أن القافية لما كانت تحصينًا للبيت وتحسينًا له من الظاهر والباطن، كانت أجل وأغلى ما في القصيدة[١٣٨] فعليها ارتكاز البيت، ومن ثم ارتكاز القصيدة كلها. واشترطوا فيها ألا تكون حروف الروي من النُفُر، ولا من الحُوُش، والجيم، والزاي، والغين، والطاء، والظاء، والثاء،[١٣٩]، ووضعوا معيار ذلك في الوقع الصوتي للحرف على الأذن، حتى تؤدي مردودها في الأذن.

ومن المحدثين من عدّ أحرفًا بعينها تصلح لأغراض بذاتها، فالقاف تجود في الشدة والحرب، والدال في الفخر والحماسة، والميم واللام في الوصف والخبر، والراء في الغزل والنسيب[١٤٠]. وربما أقام رأيه على إحصاء قوافي هذه الأغراض.

وقد نستطيع أن نربط بين الروي والحالة النفسية للشاعر في بعض المواضع، فمن ذلك ما كان من قصيدة ورقة بن نوفل التي استخدم لها روي الجيم مع ألف الإطلاق، والحالة النفسية التي تسيطر على الشاعر هنا هي حالة من الاضطراب والتوتر التي صاحبت ظهور النبي صلى الله عليه وسلم، هذا الاضطراب الذي يعلو ويتضخم حتى يصل إلى درجة غير محكومة، ولا

---

[١٣٨] منهاج البلغاء: ص٢٧١

[١٣٩] انظر في ذلك: طه حسين، وإبراهيم الإبياري: شرح لزوم ما لا يلزم، دار المعارف، القاهرة، ١/٤٠، و١/٤٩

[١٤٠] سليمان البستاني: مقدمة ترجمته الإلياذة، كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١١م، ص٩١

يعرف مداها؛ لذا التزم الروي بألف الإطلاق لتعبر عن هذه الحالة من العلو والفوران.

فاستخدم الألفاظ الدالة بمعناها اللغوي على هذه الحالة، في قوله: (النشيجا، خروجا، يعوجا، حجيجا، تموجا، فلوجا، عجيجا، عروجا، البروجا، ضجيجا، حروجا) فالعلو في لفظ (النشيجا) وهو ليس البكاء فقط، بل ارتفاع الصوت بالبكاء. والإطلاق في اسم (خديجا) فبعد طول انتظار جاء النبي، ليدل الإطلاق في العلَم المخاطب على موافقة الروي لهذا الطول الممثل في طول مدة الانتظار. ولو قيدت القافية هنا وجاء الروي بالهاء الساكنة لدلّ على حالة من الهدوء والاستقرار، وهي حال منافية للمعنى المراد، والحالة النفسية للشاعر... وإذا نظرنا إلى سائر هذه الألفاظ وجدناها تدل على الحالة نفسها من الاضطراب والعلو والظهور... حتى إن لفظ (فلوجا) الذي أتي بعد ما يدل على المسالمة المشروطة –في قوله: (ويلقى من يسالمه فلوجا)– دالٌ على الظهور، فالمقصود الظهور على الخصم والعدو.

ومثل ذلك يقال في قافية الرجز عند عمرو بن سالم الخزاعي، الذي استخدم أيضًا ألف الإطلاق (الأتلدا/ الموعدا/ المؤكدا/ رصدا/ أحدا/ عددا/...) ليدل على الصوت العالي، ولكنه هنا صوت الاستغاثة وطلب النصرة.

غير أن الذي أراه في حرف الروي –إجمالاً– أنه لا يمكن أن نربطه بالغرض وحده، بل الغرض مع الحالة النفسية لكل من الشاعر والمتلقي في الوقت نفسه، وكذلك مناسبة الوزن، والوقع الصوتي أو الجرس الموسيقي لحرف الروي وحده، ومناسبته للقافية ككل، ومناسبتها لتفعيلات البيت، وهو ما يحتاج إلى تدقيق وطول نظر وتأمل، قد لا نجده في النهاية يفضي إلى نتيجة علمية.

الخاتمة:

ناقش البحث المعاني المدحية في شعر معاصري الرسول بين جانبين مهمين من جوانب الإبداع الأدبي، وتوصل البحث من خلال ذلك إلى عدد من النتائج، التي يمكن أن نحصرها في النقاط التالية:

- أن المعاني المدحية التي اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثلت في المعاني الإسلامية الخالصة من النور والهداية، والتمكين، والإتباع، والشفاعة، وتنزل القرآن عليه، والفداء... فضلاً عن المعاني المدحية الجاهلية التي ألبسها الإسلام قيمًا جديدة، مثل: الشجاعة، والكرم، والقوة والقدرة، والخيرية.
- أمكن تقسيم الشعراء من خلال الدافع إلى فئات؛ وهم: الشعراء الأصحاب، والأحناف، والمعتذرون، والأقارب، وطالبو العطية. وأن كل طائفة لها معان خاصة بها.
- أن الدافع أو المثير اســـتطاع أن يوجه المعاني التي عبر عنها المادحون في قصائدهم.
- تنوُّع المثير يكون بفعل الظروف والملابسات العقدية أو الاجتماعية، أو الثقافية، أو الاقتصادية.
- أن الدوافع قد تختلط وتتلاقى مع بعضها البعض، لتنتج لنا في النهاية عددًا من المعاني المشتركة بين هذه الدوافع.
- أن شعر هذه الفئات قد حمل كثيرًا من الثنائيات الضدية التي أظهرت معانيهم عن طريق الجملة الخبرية، والشرطية، والإسناد إلى ضمير المتكلم، وما أسميناه غياب الصياغة وحضور المعنى.

- ظهر أثر المثير في الألفاظ، خاصة عند الشعراء الأصحاب فيما تمثل من الألفاظ القرآنية.
- يؤثر المعنى المراد في اختيار اللفظ، كمعنى الخيرية والاستغراق، وكذلك الموروث المدحي الجاهلي.
- تنوعت الصيغ بين الأفعال الماضية –خاصة فيما يكون في سرد الوقائع الماضية– وبين المشتقات من اسم الفاعل والمفعول وصيغ المبالغة.
- قلت الصور والتشبيهات في مدائح معاصري النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لأسباب منها موافقة الصفة المدحية للنبي دون مغالاة، بل قصورها نفسها عن وصف النبي.
- تنوع شعر المديح ما بين المقطعات والقصائد، مع عدم التزام القصيدة بالبنية الشكلية المعروفة في القصيدة الجاهلية، ولكنها اعتمدت على مقدمات خطابية لاستهداف الممدوح مباشرة.
- حمل هذا الشعر في أغلبه موضوعًا رئيسًا واحدًا، كان الفخر بنصر الله عند الأصحاب، وطلب العفو أو المدح ببيان القدرة عند المعتذرين، وموافقة الدليل عند الأحناف، أو الدعوة إلى السلم عند الأقارب...
- لم يكن ردُّ البحر الشعري أو القافية إلى الغرض هو السبيل الأحسن للربط بين الموضوع والموسيقى، بل ربما رجع ذلك إلى الحالة النفسية للشاعر، والمتلقي، والموضوع.

ملحق بالمعاني المدحية الواردة في البحث

تصنيف الشاعر	اسم الشاعر	قيم المدح																
		النور	التمكين	الزعامة	الشجاعة	الملجأ		الشفيع	الخيرية	الكرم	الصدق	العفو	العدل	الرحمة	طيب الأصل	المعجزة	الرشد	الهدى	المحبة
						للأمن	للمشورة												
الشعراء الأصحاب	عمر بن الخطاب		+																
	العباس بن عبد المطلب	+		+					+										
	عبد الله بن رواحة							+											
	كعب بن مالك	+	+	+	+		+		+		+		+		+	+			
	حسان بن ثابت	+		+				+	+	+	+		+			+			
	عمرو بن سالم	+				+													
	النابغة الجعدي															+			
	مالك بن نمط				+				+		+								

	فضالة بن عمير الليثي	+		+																	
المعتذرون	عبد الله بن الزبعرى					+						+				+	+	+			+
	أنس بن زنيم		+		+		+	+													
	زهير بن صرد				+				+												
	كعب بن زهير	+			+			+		+							+				
	أبو عزة الجمحي															+					
الأقارب	أبو طالب بن عبد المطلب					+		+		+	+					+					+
	عاتكة بنت عبد المطلب				+																
	طالب بن أبي طالب					+		+													

	قتيلة بنت الحارث																		+			
طالبو العطية والموالفة قلوبهم	العباس بن مرداس			+		+					+							+		+	+	+
	مالك بن عوف				+					+	+											
	لبيد بن أبي ربيعة					+						+					+					
	الأعشى									+												
شعراء الخلفية الفكرية والأدلة	سواد بن قارب					+						+				+	+		+			
	ورقة بن نوفل	+		+																		
	أبو قيس صرمة بن أبي أنس		+			+																
	رافع بن عميرة	+							+													
	لهب بن مالك	+															+					

	سراقة بن جعثم														+					
	مازن بن الغضوبة											+								

إحصاء بالبحور التي وردت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في الحماسة المغربية

الشاعر/ البحر	الطويل	الكامل	البسيط	الوافر	الرجز	المتقارب	الخفيف	المنسرح
أبو طالب	٣							
أبو عزة الجمحي	١							
الأعشى	١							
أنس بن زنيم	١							
جناب الكلبي	١		١					
حسان بن ثابت	١	١		١		١		
رافع بن عميرة				١				
زهير بن صرد			١					
سراقة بن خثعم	١							
سواد بن قارب	١							
صرمة بن أبي أنس	١							
طالب بن أبي طالب	١							
عاتكة بنت عبد المطلب	١							
عامر بن واثلة			١					
العباس بن عبد المطلب								١

العباس بن مرداس	١	٢						
عبد الله بن الزبعرى		٢					١	
عبد الله بن رواحة			١					
عمر بن الخطاب	١							
عمرو بن سالم الخزاعي				١				
فضالة بن عمير		١						
قتيلة بنت الحارث		١						
كعب بن زهير			١					
كعب بن مالك	٣		١	١				
لبيد بن ربيعة	١							
لهب بن مالك				١				
مازن بن الغضوبة	١							
مالك بن عوف		١						
مالك بن نمط	١							
النابغة الجعدي	١							
ورقة بن نوفل				١				

المصادر والمراجع:

١. إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو، القاهرة.

٢. الآبي: (منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى (المتوفى: ٤٢١هـ): نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٣. ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن، عز الدين ابن الأثير): أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م.

٤. أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، طبعة وزارة الثقافة والإرشـــاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة.

٥. إسـماعيل الأصـبهاني، دلائل النبوة، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٦. ابن أبي الأصبع العدواني: تحرير التحبير في صناعة الشعر، تحقيق: حفني محمد شـرف، المجلس الأعلى للشـؤون الإسـلامية، الجمهورية العربية المتحدة.

٧. الأعشـــى (ميمون بن قيس): الديوان، تحقيق: محمد محمد حســـين، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٨. البخاري (محمد بن إســـماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله): التاريخ الكبير، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.

٩. البخاري: الجامع الصـــحيح، تحقيق محمد زهير ناصـــر، مصـــورة الســـلطانية وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٠. البغوي (عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن ســـابور بن شاهنشاه البغوي: أبو القاسم المتوفى سنة: ٣١٧هـــ): معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان – الكويت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

١١. البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي): دلائل النبوة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.

١٢. الجاحظ: الرسائل، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٣. الجرّاوي (أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، أبو العباس): الحماسة المغربية، تحقيق: محمد رضـــوان الداية، دار الفكرالمعاصـــر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩١م.

١٤. حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخواجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

١٥. ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصـــام شـــقيو، دار ومكتبة الهلال–بيروت، ودار البحار–بيروت، ٢٠٠٤م.

١٦. ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، أبو الفضـــل): الإصـــابة في تمييز الصـــحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد

الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ

١٧. حسان بن ثابت: الديوان، تحقيق: وليدعرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م.

١٨. الحصري القيرواني (إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، الحُصري القيرواني، أبو إسحاق): زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت.

١٩. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

٢٠. أبو ذر الخشني (مصعب بن محمد أبي بكر بن مسعود الخشنى الجيانى الأندلسي، أبو ذر): الإملاء المختصر في شرح غريب السير، تحقيق: بولس برونله، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٢١. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، أبو عبد الله): سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرِين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٢٢. ابن رشيق (الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، أبو على): العمدة في محاسن الشعر، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.

٢٣. ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، أبو عبد الله): الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

٢٤. سـعيد حامد شـوارب: المدح في الشـعر الجاهلي، مجموعة أجيال لخدمات التسويق والنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨م.

٢٥. ابن سلام (محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله): طبقات فحول الشعراء: تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الخانجي: مصر.

٢٦. سـليمان البسـتاني: الإلياذة (ترجمة)، كلمات عربية للترجمة والنشـر، ٢٠١١م.

٢٧. السـهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، أبو القاسـم السـهيلي): الروض الأنف، تحقيق: عمر عبد السـلام السـلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٨. الصالحي الهاشمي (محمد بن يوسف الصالحي الشامي): سبل الهدى والرشـاد في سـيرة خير العباد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م.

٢٩. الصـفدي (صـلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصـفدي): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٠. أبو طالب بن عبد المطلب: الديوان، تحقيق: محمد حسـن آل ياسـين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٣١. طـه حسـين، وإبراهيم الإبياري: شـرح لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري، دار المعارف، القاهرة.

٣٢. العباس بن مرداس: الديوان، جمعه وحققه يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٩٩١،١م.

٣٣. ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، أبو عمر): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١، ١٩٩٢م.

٣٤. عبد الحليم حفني: مطلع القصيدة العربية ودلالتها النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

٣٥. عبد الله بن رواحة: ديوانه، تحقيق: وليد قصاب، دارالعلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٩٨١م.

٣٦. عبد الله بن الزِّبَعرى: الديوان، تحقيق: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

٣٧. عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الآثار الإسلامية، الكويت، ط٢، ١٩٨٩م.

٣٨. عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد: شرف المصطفى، دار البشائر الإسلامية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤ هـ.

٣٩. ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر): العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ.

٤٠. ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، أبو القاسم): تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٩٩٥م.

٤١. القاضـي عياض (أبو الفضـل القاضـي عياض بن موسـى اليحصـبي (المتوفى: ٥٤٤هـــ): الشـفا بتعريف حقوق المصـطفى، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.

٤٢. القالي (إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن ســـلمان، أبو علي): الأمـالي، عني بترتيبهـا: محمـد عبـد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٢٦.

٤٣. ابن قتيبة (عبد الله بن مسـلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد): المعارف، تحقيق: ثروت عكاشــة، الهيئة المصــرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢ م

٤٤. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط٢.

٤٥. ابن قتيبة: غريب القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، مصورة دار الكتب المصرية، ١٩٧٨م.

٤٦. القرشـــي (محمد بن أبي الخطاب القرشـــي، أبو زيد): جمهرة أشـــعار العرب، حققه وضـــبطه وزاد في شـــرحه: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٧. القلقشـــندي (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري): صـــبح الأعشـــى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٨. ابن كثير (إسـماعيل بن عمر بن كثير القرشـي الدمشـقي، أبو الفداء): الســـيرة النبوية، تحقيق: مصـــطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٦ م.

٤٩. كعب بن زهير: الديوان، صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الشواف للطباعة، الرياض، ط١، ١٩٨٩م.

٥٠. كعب بن مالك: الديوان: تحقيق سامي العاني، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٦٦م.

٥١. لبيد بن ربيعة: الديوان، تحقيق: إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م.

٥٢. ماهر حسن فهمي: عمر بن أبي ربيعة ونزار قباني، دراسة في فن الموازنة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧١م.

٥٣. الماوردي (علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، أبو الحسن): أعلام النبوة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ.

٥٤. المبرد (محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس): الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.

٥٥. محمود سالم محمد: المديح النبوي حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٧ هـ.

٥٦. محمود علي مكي: المدائح النبوية، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩١م.

٥٧. المرزباني: معجم الشعراء، تحقيق: ف.كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٥٨. المرزوقي (أحمد بن محمد بن الحســـن المرزوقي الأصـــفهاني، أبو على): الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٥٩. مسـلم بن الحجاج: صـحيح مسـلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٠. ابن معصـوم المدني: (علي صـدر الدين بن معصـوم المدني): أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شـاكر هادي شـكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٩ - ١٩٦٩م.

٦١. المقريزي (أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي): إمتاع الأســماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٦٢. ابن منده (محمد بن إســحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي، أبو عبد الله): معرفة الصــحابة، حققه: عامر حســن صــبري، مطبوعات جامعة الإمارات، ط١، ٢٠٠٥م.

٦٣. النابغة الجعدي: الديوان، تحقيق: واضـح الصـمد، دار صـادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٦٤. النـابغـة الـذبيـاني: الـديوان، تحقيق: محمـد أبو الفضـــل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

٦٥. أبو نعيم (أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسـحاق بن موسـى بن مهران الأصـبهاني): معرفة الصـحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.

٦٦. النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٦٧. ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد): السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٥٥م.

٦٨. أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران): ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت.

٦٩. أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.

٧٠. الهمداني (الحسن بن أحمد بن يعقوب، أبو محمد): الإكليل، حرّره وعلق حواشيه: نبيه أمين فارس، دار الكلمة صنعاء، ودار العودة بيروت.

٧١. الواقدي (محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي): المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، ط٣، ١٤٠٩/١٩٨٩.